

العُصُورُ

مجلد ٣ العدد ١٣ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس - سبتمبر ١٩٢٨

العصور
ARCHIVE
في سنتها الثانية
<http://Archivebeta.sakhr.it.com>

تقدم لقراء « العصور » العدد الاول من سنتها الثانية في هذا الثوب الجديد الذي خلعه عليها تشجيع الرأي العام المتنور في الاقطار العربية جمعاء . ولئن كان للعصور من غاية ترمى اليها ، أو كان لها من غرض تسعى في سبيل الوصول اليه ، فان ذلك ينحصر في شيء واحد هو تنوير الفكرة في الشرق والعمل على تكوين أساليب جديدة تنتج في التفكير ، وخلق اتجاه حديث يتوجه اليه أحرار الفكر من الناطقين بالضاد . اما شعارها ، فكما كان وكما سيكون دائما :

« حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة ، حتى لا تجرد صغوبة مافي رفض رأي من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، اطمأنت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه . »

حياتنا العقلية

١ تمهيد

كانت لمصر حضارة من أروع الحضارات ، وكان لها نظمات سياسية وقضائية ، وكان بها سلطات دينية قامت على أساس من التقاليد العريقة التي لم يؤثر فيها مؤثر منذ أبعد أزمان التاريخ حتى قيام النصرانية في جوف الامبراطورية الرومانية . فاخذت التقاليد الدينية القديمة تؤثر في نظمات النصرانية تأثيراً ظهر على أشده في فكرة التثليث التي بشها في تضاعيف الدين النصراني ، قدس مصرى في قدسى المسيحية .

حدث كل هذا في زمان لم تعرف فيه المدنية الا في بعض بقاع من كرة الارض كبلاد اشور والكلدان وبعض بقاع من الهند والصين . انارت هذه الاقباس في ظلام الانسانية المظلمة ، وفي غضون ما عرف فيها غير المصريين أن للعقلية الانسانية حياة تحياها وتظهر بارزة في نظمات ومبادئ اجتماعية وصور من الآداب والفنون . ما عرف هذا في تلك الازمان من غير المصريين الا بضعة شعوب اين مدنياتها من مدنية المصريين ، واين نظماتها من نظماتهم ، واين فنونها من فنونهم .

ولقد يعزو بعض الباحثين قيام المدنيات الى اسباب شتى . فمنهم من يعزوها الى طيب المناخ وكثرة المياه او المعادن . ومنهم من يعزوها الى غرائز اختص بها النوع البشرى وصفات جادت بها الطبيعة على بعض الشعوب دون بعض . وهذا يمكن ان يكون صحيحاً الى حد بعيد في قيام الصورة المادية في المدنيات . اما الصور الادبية والفنية فلا بد من ان يكون لها اسباب اخرى غريزية وان كان للطبيعة تأثير غير مباشر فيها . وعندى ان السبب الاقوى في شبوب الصور الذهنية في المدنيات راجع الى ايجاد أساليب جديدة يعكف عليها الفكر الانساني .

وما اردنا بهذه المقدمة الوجيزة الا ان نستطرد منها الى اثبات ان تغير اساليب الفكر هو السبب الاوحد الذي تفوق من طريقه المصريون في العصور القديمة على غيرهم من الشعوب ، وان عجزهم عن تغيير هذه الاساليب كان السبب في تقاعدهم عن الاحاق بغيرهم من الشعوب التي استطاعت ان تخلق بتغيير الاساليب القديمة صوراً مدنية جديدة فاقت الصور القديمة في كثير من وجوه الارتقاء .

كذلك نريد ان نثبت ان عجز الشعوب عن تغيير اساليب الفكر ليس يرجع الى نضوب قواهم العقلية او صفاتهم المدنية . فاني اعتقد تمام الاعتقاد بان هذه الصفات انما تكن في بعض الاحيان وتستكين ، فلا تنشط ولا تعمل تحت تأثير ظروف طارئة غير ثابتة . كغزو اجنبي او سوء حالة الحكم واحتكام الجماهير في الطبقات المنتقاة من مجموع الامة ، واستبداد ينزع اليه الملوك والامراء او خلاف طائفي او نزاع على الملك او غير ذلك من الاسباب التي ليس لها من علاقة مباشرة بالصفات الطبيعية التي تخص بها الافراد ، بل لها الاثر الاكبر في المحيط الذي يحيط بالمعقول والافهام فيقع به بكثير من فاسد النزعات تكن معها الصفات التي تقوم عليها المدنية ، والتي لا تظهر الا في جولا يتهاً الا لتسود ارقى المبادئ الادبية التي تواضع عليها النوع الانساني

٢ - في التاريخ القديم

مصر القديمة اكبر مثال يضرب لنثبت به حقيقة هذه النظرية . فان التقلبات المدنية التي انتابت مصر في مختلف عصور تاريخها القديمة لشاهدة على أن الجو الذي يحيط بالافراد والنظامات كأن له اكبر الأثر في تكييف الصورة المدنية التي تقوم في عصر من العصور .

ليس من المعقول مطلقاً أن تهبط مصر المتحضرة الراقية ذات النظامات الأهلية والمدنية ، وذات المعابد والهيأكل العامة ، وذات النظام الكهنوتي الكبير الاثر ، من ذروة المجد إلى حضيض الذلة والانكسار أمام غزو الهكسوس ، وهم اعراب من أهل البادية ما عرفوا مدنية ولا ذاقوا للنظام طعماً ، ويكون انكسارهم وفناء صورهم المدنية التي عاشوا في ظلها

راجع إلى نضوب قوة الابتكار فيهم ، بين يوم وليلة !!! إن هذا القول لبعيد جهد البعد من المعقول ، فضلاً عن أن العلوم الحديثة في النشوء لا تؤيد ، بل تؤيد ما يذهب إلى عكسه على خط مستقيم .

أما يكون في مثل هذا القول كثير من الحق والصواب إذا نحن رجعنا إلى نظريات كمون الصفات الفطرية في الشعوب إذا هي تأثرت بجو مشبع بمسببات المدنية . وأية مفسدة من مفسدات الحياة الانسانية اقصى تأثيراً على الشعوب من غاز أجنبي جاهل لا يعرف إلا القوة ولا يلجأ إلا للقوة في شعب ما عرف للقوة في نظاماته من أثر ، ولا عرف لغير النظام في حكومته من مبدأ ؟ والدليل القاطع على صحة هذه النظرية ان مصر لم تلبث ان تطرد الهكسوس من بلادها حتى ازهرت بعمدهم المدنية . وما ازهار هذه المدنية في الواقع بشيء يستعصى تعليله ، إذا عرفنا أنه عائد مباشرة إلى نشاط الصفات المدنية مرة أخرى بمد أن ذهب تأثير الغزو الاجنبي وتطهر الجو الذي لا يمكن أن تنشط في غيره .

كذلك إذا نظرت في مجمل تاريخ مصر منذ زمان « مينا » إلى زمان الغزو الروماني . فانك تجد أن تاريخ هذا الشعب كان عبارة عن دورات من العزة والانكسار ، والنصر والاندحار ، متعاقبة متتالية ، على قصر فترات الزمان ، والشعب المصري هو هو ، لم يتغير فيه عنصر ولا نقصت فيه صفة . فهل يمكن أن يكون ذلك راجع إلى فقدان الصفات الطبيعية التي اختص بها الشعب المصري كما يوهمنا البعض في هذا الزمان قضاءً لما رب خاصة ، أو يأساً من طول مآمنينا به من مفسدات الغزو الاجنبي ؟ كلا . أن ذلك راجع لدى الواقع إلى كمون الصفات المدنية والمؤهلات العقلية تبعاً لفساد الجو الذي يحيط بها . على أننا لا ننسى مع هذا أن طول الزمان الذي تكمن فيه الصفات المدنية يجعل عودتها إلى النشاط أعسر ، ورجوعها إلى العمل أوعر ، وانهاضها محتاجاً إلى كثير أو قليل من الجهد على مقتضى الحالات .

وما السبب في هذا ! السبب فيه أن كمون الصفات المدنية ازماناً طويلة عامل من أكبر العوامل في تحليل المنظمات التي تقوم عليها المدنية . لهذا يكون

للجهد مضاعفاً عند قيام مدنية أخرى لشعب فقد مدنيته لانه يكون محتاجاً إلى اعادة بناء النظمات المدنية أولاً ، ثم صبغها من يد بالصبغة التي تستمد مباشرة من صفاته الطبيعية .

وليس يقتصر استشهادنا على هذه النظرية بامثال تقطعها من تاريخ مصر وحده . فلديك مملكة مقدونيا وهي من أصغر ممالك الارض عدة وعدداً . ففي عصر الاسكندر المقدوني خرجت من ظلمات التاريخ الى وضوح الحياة بعد سنين معدودات من حكم فيلبس وابنه الاسكندر ، فدوخت العالم وفتحت كل بلاد المدنية في ذلك العهد . وما لبث ان مات الاسكندر وتجزأت من بعده امراطوريته العظيمة بين كبار قواده حتى خبت تلك الجذوة التي اشعت في مقدونيا وما عمت ان كمنت قواها مرة أخرى ، لما انتشر في جو المدنية من المفسدات ما تعذر معه على تلك الصفات أن تظهر وتنشط في صور الحياة العامة

واذا شئنا أن نعدد لك من الامثال ما يؤيد هذه النظرية لذهبنا بك في سلسلة طويلة من الوقائع التاريخية التي تؤيدها في التاريخ القديم

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

٣ - في التاريخ الحديث

ولا تصدق هذه النظرية على التاريخ القديم وحده ، ولا هي وقف على الامم القديمة وحدها . بل هي نظرية يمكن أن تنزع من وقائع التاريخ الحديث ما يؤيدها ويزيدها قوة وثباتاً

هل تستطيع مثلاً أن تعال السبب في ان أمة اليابان قد نشأت جذاة كبرق يأتق في ظلمات الليل البهيم ، فتبرز في خمسة عقود من الزمان لا تتجاوز النصف قرن ، كل امم الارض على وجه التقريب رقيقاً ومدنية ، وتناظرها قوة وسلطاناً ، وكانت من قبل احدى الامم الصغراء التي لا يعمل لها في عالم المدنية حساب ولا يقام لها وزن؟

طافت احدى المدرعات الامريكية بقيادة الاميرال « بيرى » وقد سدت مدافعها الضخمة إلى إحدى المدن اليابانية القائمة على شاطئ المحيط الهادى فانزعت بنجاحاتها أهل اليابان المستكينه الدلية ، ومن ثم اخذت الأمة اليابانية

تضرب في مجالى الرقى العملى وتبنى على اتقاض مدنيّتها القديمة مدنية حديثة
تسكاد تزرى بمدنية باريس، عروس مدائن الدنيا المتمدينة ! فهل يمكن أن
يكون منظر هذه الدارعة وحده هو الباعث على أن تهب اليابان هبتها التي
كان من نتائجها أن تضرب الدب الروسى ضربتها القاضية ويخطب ودهالان
الاسد البريطانى؟ كلا، لا بد من أن يكون الجو الذى افسد جو المدنية اليابانية
خلال الازمان الأولى قد تطهر من مفسداته التي كانت تعوق صفات أهلها
عن أن تنبعث في سبيل النهوض . وقل بعد ذلك ماشئت . قل أنه تطهر باللقاح
او قل إنه تطهر بالعظة البالغة أو بتحرك شهوة السيادة في قلوب الزعماء .
قل ماشئت . ولكن اعتقد بجانب هذا أن صفات الشعب الكامنة قد تحركت
فغيرت من أساليب الفكر وجددت من شباب الفن والادب، فكانت المدنية
اليابانية قائمة على أساس الصفات والمؤهلات التي تركزت في طبيعة الشعب
اليابانى منذ اقوم عصوره حتى اواخر القرن التاسع عشر .

ثم انظر في ايطاليا وقد تقاسمتها السلطة البابوية من جهة ودولة النمسا من
جهة اخرى . وارجع الى الميراث الذى خرجت به القبائل الايطالية في القرون
الوسطى ، وعد قليلا الى ذكرى المفاسد التي ايدتها الكنيسة والاستبداد
الذى حل اخلاق ذلك الشعب اللاتينى من طريق استبداد الامراء . اذكر
كل هذا وسائل نفسك هل يمكن ان يكون الشعب الايطالى قد فقد كل
صفاته الطبيعية في تلك الازمان الذى مضى خاضعاً فيها لعسف الامراء من
جهة ، واستبداد اهل الدين من جهة أخرى ؟ واذا سلمت بهذه الفكرة
فكيف تعلق نهوض هذا الشعب بعد ان فاز كافور في ميدان السياسة،
وجارى بالدى في ميدان الحرب ، باستقلاله وحرية ؟ لا جرم اننا لا نكون
ابعد عن الهدى منا اذا سلمنا بهذه النظرية . اما الحق فان صفات الشعب
وقدرته على ابتكار الاساليب الجديدة قد كمنت عندما حوطها من المفاسد
ما جعل كمونها لازماً . فلما تطهر الجو انبعثت الصفات الكامنة من مرقدتها
ومضت تسير بالشعب الايطالى في مدارج الرقى دفعة واحدة، كأن لم يكن
استبداد حلل اخلاق الشعب، وكأن لم تكن مذهبية شنيعة استعانت بها
الكنيسة على اخضاع ايطاليا لوى الآخرة

وكذلك اذا أردنا أن نضرب لك الامثال على صحة هذه النظرية منتزعة من التاريخ الحديث . فاننا نذهب بك في سلسلة طويلة لا حاجة لنا بها بعد الذي أدلينا اليك به من البحث .

٤ — أسباب وتائج

وليس السبب في كمن الصفات محصوراً في الغزو الاجنبى أو استبداد الامراء . فان هذه الاسباب قد تكون ذاتية أى آتية من ناحية الشعب نفسه ، كما يمكن أن تكون خارجية مفروضة عليه الزاماً بحكم خارج عن إرادته . ففي عصور الانقلاب والثورة يظهر الزعماء الذين يقودون الجماهير ، وينزوى ذوو العقول الفذة الذين هم في الواقع قمة الهرم الذى يكون مجموع الأمة . وفي هذا سبب من أكبر الاسباب التى تكمن معها الصفات المدنية الصحيحة اذ يفتنى بذلك أن تكون حرية حققة في عصر تسود فيه الجماهير .

وكذلك الحال في العصور التى تنتشر فيها أفكار جديدة يأخذ الناس وهجها الكاذب ويهرهم زخرفها الخلاب . فان هذه الظاهرة كثيراً ما تكررت في عصور المدنية اذ هى تسير بقدم نابئة ، فزلزلت من تحتها قائم الدعائم وفضت من حول المدنية قوى التشييد لتصرف حيناً الى الفساد الذى تبثه فكرة خاطئة أو مذهب غير قويم .

هذه الامثال وغيرها كثير نضربها لذلك بها على أن فساد وجود المدنية قد يرجع الى أسباب تستمد من نفسية الشعوب ، كما تعود الى أسباب قاهرة مفروضة عليها بحكم ارادة غير ارادتها . ولا جرم أن العجز عن تغيير اساليب الفكر يقتضى فساد المدنية . فهذا العجز لدى الواقع دليل على أنه فساداً اتاب المدنية ، لا على أن الامم التى عجزت عن تغيير أساليبها لتساير المتمدنين ، قد فقدت كل صفاتها المدنية وأضاعت كل قدرة على أن تساير خطا الارتقاء .

تنحصر المؤهلات القومية في مجموعها في القدرة على تغيير أساليب الفكر والمعتقد على حسب ما تتطلب الظروف وما تقتضى الحاجات فالمؤهلات القومية هي لدى الواقع الاصل في الصورة التي تتصور بها المدنية ، والقالب الذي تصب فيه حضارة امة من الامم . ومن هنا كانت تلك الخلافات الشديدة التي تبين فيها أمة أخرى في التكوين المدني ولا جرم أننا لا نستطيع ان نقيس المدنيات بمقياس يتخذ قاعدة للحكم على المدنيات . ذلك لان هذا القياس لا بد من أن يكون مبدأ تترف كل الامم بانه امثل الاعلى للمدنية . ولا شك في أن الباحثين لم يتفقوا على مثل أعلا يتخذ للمدنية قياساً يقاس عليه . لهذا وجب علينا أن نرجع الى الصور الظاهرة في المدنية أجلى ظهور ونحكم من ناحيتها في صور المدنية ، فنقتضى لهذه الصورة أو لتلك على مقتضى ما تظهر الامم من قدرة على مسايرة مقتضى الحالات التي تجر في أفق الاجتماع الانساني . ولا شبهة عندي في أن المقياس الحقيقي ينحصر في قدرة الامم . على تغيير أساليبها التفكيرية والاعتقادية ، لان ذلك في الواقع دليل على مرونتها وتقبلها لمختلف الاساليب التي يمكن أن تفوز منها بأسلوب يمهدها سبيل التفوق في ناحية بعينها من نواحي المدنية .

٦ - النشاط والكمون في طبائع الامم

غير أن النشاط والكمون في الامم تختلف نسبته . فهناك أمم سريعة الانبعاث الى النشاط ، ولكنها بجانب هذا تكون سريعة الانكماش والكمون . وأمم أخرى بطيئة النشاط تدرجية السير في بناء المدنية ، ولكنها بجانب هذا تكون بطيئة العودة الى الكمون . والمصريون ولا شبهة مثال الطابع الاول والانجلوسكسون مثال الطابع الثاني . ولا يفوتنا هنا أن تقرر أن الشعب الانجائزي من أبطأ الشعوب التي ظهرت فوق الارض نشاطاً الى المدنية ، ولكنه سيكون من ابطئها رجوعاً الى حالة الكمون .

ولا شبهة عندي مطلقاً في أن هذه الظاهرات تدل على مقدار ثبات الصورة المدنية وانحلالها على مقتضى ما يكون للشعب الذي يصورها من سرعة

النشاط أو الاستكانة والكون . فليدرك شعوب عاشت عصوراً طوالا وهي
عاكمة على صورة بعينها من صور المدنية ما أثر فيها مؤثر خارجي أو ذاتي
الا وتغلبت صفة الثبات القائمة فيها والمستمدة من صفات الشعب الذي
صورها على كل عرامل الانحلال التي انبعثت في عصر من العصور . ولديك
شعوب أخرى توالى عليها دورات النشاط والثبات ، كأنها على مسرح من
مسارح الألعاب الذي تقاس فيه أعمار الناس بالساعات لا بالسنين والايال
وهذه الظاهرات تدل دلالة واضحة على ان الصفات الاصلية في الشعوب
لن تموت ولن تنحل ولكنها تكمن حيناً لتظهر مرة أخرى لامة صورة مدنية
جديدة تنصب في القالب الذي تسمح به ظروف الحالات الاجتماعية والمدنية
٧ - مصر في الميزان .

ان المقدمات التي قدمنا بها في هذا المقال يمكن تطبيقها على حالة مصر
الماضية والحاضرة . ولست اريد بما ضربت من الامثال التاريخية ان اقع في
خطأ أكثر مما وقع فيه الكاتبون . لا اريد ان استدل بالماضي على الحاضر ، بل
اريد ان استدل بالحاضر على الماضي . ذلك لاني اعتقد اعتقاداً جازماً بأن
الحاضر هو مفتاح الماضي وان عكس ذلك غير صحيح . انما سقت ما سقت
من الاستشهادات التاريخية على اعتبار انها وقائع ما قصدت بها مطلقاً ان
اطبق الماضي على الحاضر بل استدلالاً اردت من طريقها ان اثبت من ناحية
ما صح في التاريخ بسطريته ومن ناحية أخرى صحة نظرية اعتنقها وادافع عنها .
لقد ظلت مصر ازماناً طويلة مصدودة عن ان تهبي لصفات الكامنة جواً
تستطيع ان تنشط فيه وتكون من طريق نشاطها الذمعي مدنية تصبها في
القالب الذي تصل بها اليه مؤهلاتها .

اما اذا رجعت إلى المسألة السياسية المصرية فانك تقع فيها على ما يؤيد
هذه النظرية بما لا سبيل الى ادخاله باية طريق من طرق التدليل . فان
صحتنا للحرية والاستقلال على ما يعتورهما من النقص وعلى ما يحف بهما من
الضعف في بعض الاحيان لدليل ناطق وبرهان حي على ان صفاتنا الكامنة
قد أخذت . تنشط من عقال القرون وان قدرتنا على تقبل الاساليب الجديدة

أخذت تفكك تلك القيود التي صدرت عنها الانبعاث في سبيل التقدم القرون الطوال . وعندى ان هذه الظواهرات في مجموعها راجعة الى ان الجو الذي يمكن ان تنشط فيه صفات الشعب المدنية قد تطهر بعض الشيء مما تراكم فيه من غبار الاستبداد والعسف وزوال النظمات العتيقة التي من شأنها أن تعقل الفكر وتصد موجة النشوء، عن ان تبعث الصفات الكامنة لتنشط وتؤتي ثمراتها الطيبة .

لهذا لا ندعو الى تغيير أساليب الفكر . فان هذه الدعوة في ذاتها خطأ محضاً . ذلك لاننا اخذنا بالفعل تغير من اساليبنا الفكرية على الرغم مما يصدرنا عنها من العقبات . بل ندعو الى توجيه الفكر في طريق يحول اختياره للاسلوب الحديث الذي يعكف عليه قائماً على الحرية التامة وعلى قدر ما تقبل مؤهلات الامة الكامنة في العصر الحاضر .

يكفيانا الآن ان تعمل على تحرير الفكر ليكون اختياره للاسلوب الذي يرضاه غير مقيد بشيء مما تقيد به خلال العصور الاولى .

فالى الحرية ندعو والى حرية الفكر على الاخص نعمل قانعين بان العمل في هذه السبيل هي خير ما توجه فيه الامة نهضتها الحديثة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>
اسماعيل مظهر

لا تقطفها

لا تقطفها قرب زهر يحنو عليها ويرتجفها !!
لا بد من عاشق رواها بدعه واستهام فيها . . .

* *

أخاف ثأر الزهور منا إن جئت يوماً لتقطفها
أخاف أن يعتدى غبي يفرق الأخت عن أخيها

* *

تأملها تسبي عقولا للحسن تصبو تأملها
الحسن فيك يزيد منها لا تقطفها!! لا تقطفها!!

حسن كامل الصيرفي

الفيلسوف الفارسي

عمر الخيام

- ١ -

نشرنا في غير هذا المكان من العصور النبذة الاولى من ترجمة رباعيات
عمر الخيام التي نشرها حديثاً السيد الزهاوي شاعر العراق المعروف . وقد
حركت فينا هذه الترجمة الجديدة شهوة البحث في تاريخ رباعيات عمر الخيام ،
وهي شهوة طالما رجعتها النفس حيناً بعد حين . ففي سنة ١٩٢٦ وكنت لا ازال
بريف مصر بعيداً عن جلبة المدينة القاهرة ، كتبت في أبي العلاء المعري
مقالاً نشر اذ ذاك واختتمته بهذه الكلمات

« ولعله تتاح لنا فرصة أخرى نوفي فيها هذا البحث حقه ، ونقارن
بين فكرة أبي العلاء الفلسفية وبين فكرة عمر الخيام ، فان ذلك يظهرنا على
شيء من طبيعة الفكر الانساني وكيف تتنقل الأفكار من جيل الى جيل
متدرجة في أشكال من التغيير لا نهاية لمتنوع صورها . »

ومضيت من ثم أدرس أبا العلاء ، مكباً في ذات الوقت على رباعيات الخيام .
استعمقت في درسها ومقابلة التراجم التي ظهرت في اللغة العربية . فلما وصلت
الى يدى ترجمة السيد الزهاوي عادت الى ذاكرتي كل ما استوعبت من فكرة
في الخيام وأخذت أتردد في متابعة الدرس حيناً وتركه حيناً آخر ، حتى صحت
عزيمتي على أن أبدأ به .

غير اني لا أكتم القاريء اني كلما استعمقت في دراسة الخيام بان لي أن
المقابلة بينه وبين المعري صعبة المنال — ان لم تكن متعذرة تماماً . والسبب
الاكبر في هذا أنك لا تستطيع أن تقف على حقيقة الرباعيات ، كما هي بين
يدينا اليوم ، وان تستخلص منها ما كان للخيام ، وما كان منتحلاً . فالتراجم
تختلف اختلافاً كبيراً . واختلافها يرجع الى مصادرها الأصلية . وكذلك
عددها يختلف اختلافاً شديداً ، سواء في الاصول الفارسية أو في التراجم .

التي ظهرت في مختلف لغات العالم . ثم انك بعد هذا واقع في إشكال أنكى من هذا وأشد فعلا في عواطفك وأسلوب درسك، إذ تعلم أنه يستحيل عليك أن تعرف الاصل الذي نقل عنه كل المترجمين . ناهيك بأن أقدم أصل للرباعيات عثر عليه في الفارسية يرجع الى عهد يبعد عن عصر الخيام عدة قرون من الزمان .

ولو أردت أن أذهب بك في سلسلة طويلة من هذه الاعتبارات لفعات . غير أني لا أجد لهذا من مسوغ في بحث انتقادي أدبي فلسفي سوف لا اتورط فيه الى تمضيل أو تعزيز أحد في موضوعه بل سأكون من هذه الناحية محايداً تماماً، أبدى الأفكار والملاحظات ثم لا انتصر الى احداها .

والحق أني حتى الساعة لم ارتسم طريقاً أسلكه في درس الخيام ورباعياته، ولعلني عما قليل مهتد الى الطريق الذي ينجل لي انه امثل طريق واقوم سبيل . ويكفي اليوم في هذا المقال ان اخلص في النهاية بئرح ما حملني على أن اضع القارئ في موضع الشك من رباعيات الخيام قبل ان ابدأ بدرسه . والسبب في هذا ان الخيام لم يعرف في العصور الحديثة لدى قراء العربية الا منذ عهد قريب . على أني لا اذكر ايضاً ان رباعياته قد عرفت لدى العرب في عصورهم الاولى، اعتماداً على ما وصل الينا من كتب الادب القديم . وجل ما عرف عنه ، وذلك على قدر ما وصل اليه علمي ، تراجم واخباريات مقتضبة لا تغني في دراسته الخيام شيئاً . لهذا أبدأ اليوم بمرده ما وقعت عليه من تاريخ الرباعيات في أوروبا وأمريكا توطئة للكلام فيه وبحثه على النهج الذي حددته من قبل .

* * *

وقع في سنة ١٨٥٩ ، وهي نفس السنة التي طبع فيها كتاب « أصل الانواع » المعروف ، انه نشر ادوارد فيتزجيرالد — Edward Fitz Gerald — كتيباً وسمه بانه ترجمة أشعار لكاتب فارسي ، لم يكن قد عرف عنه من شيء في عالم الادب الغربي على الاقل . ولقد طبع هذا الكتيب الصغير على قدر ما يتسع لامثاله من الاهمال وعدم الاكتراث ، فكان بنسعة وريقات

صغيرة لا تتجاوز عدد صفحاتها الأربع والثلاثين صفحة، لا يجد فيها قارئ
الانجليزية الا خمسة وسبعين مقطعاً شعرياً في صورة رباعيات نسبت الى
« عمر الخيام الشاعر الفارسي » . ولقد خرج هذا الكتاب من آلة
الطباعة ميئاً مكفناً ، لا ينتظر من شيء إلا الدفن والنسيان الابدى . وأخذ
ناشره ينقص من ثمنه المرة بعد الاخرى ، حتى بلغ ثمنه « باساً » انجليزية
واحداً، ومع كل هذا فقد عافه القراء وانصرف عنه الادباء .

بعد هذا التاريخ بعدة سنوات — ١٨٦٧ — تشجع مترجم السفارة
الفرنسوية في طهران ، مسيو نيقولا ، وقد سمع من رجال البلاط الفارسي
ما لعمر الخيام عندهم وفي الادب الفارسي من منزلة ، فنشر الرباعيات بعد أن
ترجمها ترجمة حرفية مع المتن الاصل منقولاً على مطبعة حجر في عاصمة فارس .
وفي السنة التالية لهذه الحادثة أعاد « فزجرالد » طبع رباعياته بعد أن
تقحها وزاد اليها فكان عدد رباعيات هذه الطبعة مائة رباعية ورباعية . ولقد
ذكر « جون باين » أن هذه الطبعة قد اهتمت أيضاً ولم تستلفت نظراً حاداً من
الناس . غير ان مد الفكر قد بدأ يغير اتجاهه من بعد ذلك . وبدأ « فزجرالد »
يتبوأ المكانة التي تبوأها في عالم الادب الحديث . ولم تأت سنة ١٨٧١ حتى
طبعت لثالث مرة وظلت تباع ثلاث سنوات بيباً مطرداً بسعر لا يتصوره
احد اذ بيعت النسخة بثمانية شذات انجليزية الا قليلاً . وبدأ عشاق الفيلسوف
الفارسي يبحثون عن نسخ الطبعة الاولى التي كان يلقونها مؤلفها في سلال
المهملات كلها عثر بواحدة منها ، حتى بلغ ثمن النسخة الواحدة ستون ليرة
انجليزية ، ولم تكن نسخ الطبعة الثانية لتقل عن الاولى قيمة . هذا بعد ان
بيعت ببضع بنسات في اسواق لندن وزهد فيها القارئون .

وظهرت في امريكا طبعات لترجمة « فزجرالد » فكسيت بمحلول التبر
وجلدت بأثمن ما جادت به الصناعة من فاخر الجلود المراكشية . بل لقد
حلت في القلوب محلاً لم يفخر به سوى الانجيل في قلوب النصارى والقرآن
في قلوب المسلمين .

ولا تلبث على هذا غير قليل حتى تجد أن « الابدى العبدى » قد تكون

في لندن ، واصبح عمر الخيام قبلة فئة من كبار ادباء الانجائز، ما كانت الدهشة لتبلغ باحد ممن عهدهم مبلغها من فتر جردالد ، بل ومن عمر الخيام نفسه، لو انها رأياهم وهم في حالهم هذا .

وتوالت بمد ذلك الترجمات . ولقد ذكرنا من قبل خبر نيقولا ، مترجم السفارة الفرنسية في طهران . وهذا بلغت ترجمته ٤٦٤ رباعية . وثقات هذه الترجمة الى الانجائزية منذ عهد قريب . وظهرت بمد ذلك ترجمة المانية، هي على مايقول نقاد الانجائز من اوثق الترجمات التي ترجمتها الرباعيات، تقام الأديب بودنستيد « — Bodenstedt — وطبعت عدة طبعات متوالية . اما في اللغة الانجائزية فاحسن الترجمات التي اعترف لها أدباء انجائز اهي ترجمة « وتيلد » — Whinfield — في ٥٠٨ رباعية ومعها المتن الفارسي ، وترجمة جون باين John payne في ٨٤٥ رباعية من غير المتن الاصلى ، وترجمة هيرون الن — Allen — Heron — وتحتوى طبعة هذا المترجم على صورة صفحة من اقدم نسخة عثر عليها من الرباعيات . وتحتوى على ١٥٨ رباعية . ويوجد في الانجائزية ترجمات غير هذه نذكر منها ترجمة جونسون باشا، وترجمة شرو بول .

اما اذا رجعنا الى المخطوطات التي حفظت من رباعيات الخيام في لغتها الاصلية، وجدنا أنها غير استثناء بعيدة عن عهده . اما اقدمها والمخطوطة التي اعتمد عليها الأديب « هيرون الن » وهي محفوظة في مكتبة « بودلى » با كسفورد . وتحتوى على ١٥٨ رباعية فقط، وقد كتبت في شيراز سنة ١٤٦٠ ميلادية ، ومعنى هذا أنها نسخت بعد موت المؤلف بما لا يقل عن ٣٥٠ سنة . اما المخطوطة المحفوظة في المكتبة الاهلية بباريس فتحتوى على ٣٤٩ رباعية ومؤرخة في سنة ١٥٢٧ ميلادية، أى بعد موت المؤلف بأربعة مائة سنة تقريبا . وفي المتحف البريطانى مخطوطة أخرى عدد رباعياتها ٥٤٠ ويرجع تاريخها الى سنة ١٦٢٧ ميلادية، أى بعد موت الخيام بخمسة مائة سنة .

ويلاحظ هنا أن عدد الرباعيات يزداد بنسبة بمد زمانها عن زمان المؤلف بمسافة مطردة، حتى أنك تجد أن النسخ التي طبعت على الحجر في العهد القريب قد بلغت رباعياتها الألف أو تزيد. ومن هنا تتحقق أن هذه الرباعيات لا يمكن أن تكون جميعها من قلم الخيام وحده. ولا يجب أن تقف ازاء هذا الأمر عند حد هذا الاستنتاج وحده. فقد زعم بعض الكتّاب أن عمر الخيام، الفيلسوف الشاعر الفلكي الكبير، لم يكن ذا منزلة عند أهله وبين عشيرته. أما اهتمامهم برباعياته الخالدة فدليل ناطق على فساد هذا الزعم الغريب. لأن التقليد إذا أخذ على أنه خاص شيء يعبر به الناس عن حبهم لشخص أو شيء ما، فإن لدى الخيام من علام هذا الحب ومظاهر هذا التبجيل قدر لا يفخر بمثله غيره من الشعراء والأدباء. فما بالك وهذا القدر يزداد على مر السنين وكر الأعوام.



فضلا عن هذه المخطوطات الكثيرة ونسخ الطباعات الحجرية، التي تنسب جماعها إلى عمر الخيام، فأنك تقع على عدد من الرباعيات لا تقل عن المائة عدداً، تدعى عند الأدباء الرباعيات المنتحلة، وهذه يعزوها البعض لغمر، كما يعزوها غيرهم إلى مؤلفين آخر. وهذه المائة من الرباعيات المنتحلة موجودة في الأصل الذي اعتمد عليه نيقولا الفرنسوى. أما أقدم المخطوطات، وهي المحفوظة بمكتبة بودلي با كسفورد فلا تحوى من هذه الرباعيات إلا أربعة عشر رباعية. أما أثبت أدباء الانجائز قدماً ومنهم المحترم دكتور « وير » — Wier — فيقول بأن هذه الرباعيات الأربعة عشرة ظاهرة الانتحال. أما القول بأن عمر الخيام هو منتحلها كما يقول بعض الباحثين، فما لا يقبله العقل. ذلك لأن الطريقة الرباعية في الشعر لم يتبكرها إلا الشاعر المعروف « أبو سعيد بن أبي الخير » الذي عاش في عصر يتقدم عصر الخيام بمئتين سنة فقط. وجل ما في استطاعتنا أن نستثنيه من هذا الحكم، فتلك الرباعيات التي تنسب مرة إلى الخيام وأخرى إلى ذلك

الرجل الذى يستطيع الخيام ان يقتنى خطاه وان يابس لبوسه بسهولة . اذ كان ، كما كان هذا ، فيلسوفاً ورياضياً معاً . وما نعى به الا الفيلسوف الاعظم « بن سينا »

والحقيقة ان هنالك بائناً قويا يحمل متأخرو الشعراء على ان ينسبوا اشعارهم التى ترمى الى التجديف والهرطقة الى من سبقهم من عظماء الرجال . لان الآراء التى كان من الممكن ان يبشر بها فى ظلال حكم مثل حكم السلاجقة وكان فيه شيء من التسامح ، كانت ولا شك تجمل رأس الشاعر معلقة فى ميزان القدرين الارض والفضاء الاوسع فى حكم من عقبهم فى الاسر الممالك . غير ان هذا العهد لم يدركه الخيام . ومن حسن الحظ ان هذا العهد ادرك الخيام وهو ناو بين الجنادل فى رى نيسابور وكأنه يناجى الطبيعة بقوله :

آه لو كنت بعد الف والف فى حؤول تقفو خطا يوم حتى
فى ترابى اطل كالنبت حياً فاحيى الربوع والاطلالا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

وبزید بهض النقاد على هذا ان الرباعيات التى يقرب زمانها من زماننا والتى طبعت على الحجر ، لا تقتصر منافستها على انها بعيدة عن عهد المؤلف بعداً كبيراً . بل ان اختلافها من حيث الاسلوب والمعانى عما ورد فى الرباعيات الاقدم منها عهداً ، قد جعلها ادخل فى باب الشك . وعلى الاخص اذا تذكرنا قول المحترم مستر « وير » — اذ قال « بان اللغة الفارسية غير قابلة للتحويل بل هي من اللغات الثابتة الاصول . وهي من حيث ثباتها تشابه شرائع الميدين او الفارسيين القدماء التى ضرب بها المثل فى الجمود » ولا جرم ان نقاد الادب الفارسى ومنهم العلامة « سايس » — Sayce لعلى اعتقاد ثابت فى ان الاديب الفارسى الذى يعيش اليوم وفى القرن العشرين يشبه من حيث الاسلوب والمعنى اديب فارس الذى عاش منذ ٨٠٠ سنة مضين .

اما اذا تركنا البحث اللغوي ورجعنا الى المقارنات القياسية فانا نجد أن مخطوطة جامعة « بودلي » با كسفورد لا تحتوى على سطر واحد وعددها ١٥٨ رباعية — يمكن أن يفصح لك سر عقيدة كاتبها الدينية . وأنت اذا قرأتها لم تستطع ان تحكم في صاحبها حكماً قاطعاً ، أهو مسلم أم يهودى أم زرادشتى أم نصرانى . اما الرباعيات التى تتأخر من حيث الزمان وتتجدر مقارنة لزماننا هذا ، فليست من هذه الروح . فان كثيراً منها ، لا يمكن ان يكون قد خرج الا من عقلية رجال مسهم الدين الاسلامى فى الصميم .

ويند كرنى عمر الخيام فى موقفه هذا من تلاميذه ومريديه ، بالفيلسوف أبيقور اليونانى . فكلاهما ظلم وكلاهما ضاعت آثاره ليتسع لمن يمدده مجال الدس عليه والافتراء .

جاء فى كتاب تاريخ الفلسفة للعلامة « اردمان » ما يلى « ويعتقد أبيقور ان الخير الحقيقى فى تحصيل اللذة ، وان كل الفضائل التى يمتدحها المشاؤون ، ارسطو واتباعه ، ليست بذات قيمة الا من جهة ما تؤدى اليه من الملاذ . وقد يعرف اللذة تعريفاً سلبياً بأنها التحرر من الألم ، وانها قد تأتى من طريق التأمل العقلى ، وان اللذة فى الواقع حيازة أكبر قسط ممكن من المتعة التى يسعى الانسان الى تحصيلها ولو تحمل فى سبيلها ألماً . ولان اللذة التى يسعى اليها لا تأتى الا بالتبصر وإعمال الفكر ، دعاها اللذة النفسية أو لذة الروح . غير أن الباحث اذا تدبر جميع ما ينطوى تحت عنوان تلك اللذة النفسى ، فانه يشك فى أن الابيقوريين ينزلون من الزاموس الادبى منزلة أمثل من منزلة السيرينيين مع تفضيلهم اللذة الحسية . فان من معتقدات ابيقور أن الفضيلة انما يتبعها العاقل لذاتها ولكن كوسيلة للذة ، وانه اذا خيل للعاقل ان الاستغراق فى اللذة البهيمية والافراط فيها قد ينجيه من الخوف ، ويبعده عن متاعب الحياة ، فله أن يكب عليها ، وان هذا الاحساس ذاته هو الذى يجعل العاقل يعيش فى نظام مدنى ، أو يخضع لسلطة ملكية ، وهو الذى يحمله على احترام القوانين . »

وقال العلامة « اردمان » بمد ذلك — وهو ما تقصد اليه من استطرادنا هذا :

« ان حياة أبيقور العملية كانت أرقى من نظرياته في استباحة الملذات . على ان أبيقور فضلاً عن استغراقه في المادية ، كان حسن السيرة عفيفاً فاضلاً ، اتبع من مذهبه الاخلاقي فكرة تحصيل اللذة من طريق الألم فكان مثالا من الفضيلة يناقض الامثال التي وضعها اتباعه ، حتى أصبحت الفلسفة الابيقورية قاصرة في مدلولها على ما امتدح اتباعه من مذهبه الاخلاقي ، حيث وجدوا في نظرياته ما استباحوا به لانفسهم ما استباحوا » .

ولقد أراد الخيام أن يضع رباعياته ، على ما تتخيل من شأنه ، تأملاً في حقيقة الوجود والحياة الانسانية ، بعيدة عن منازع الاديان ومفارقاتها البعيدة ، فلم يرد الذين نسجوا على منواله ودرسوا عليه الا ان يكون في مظهر المسلم ، لا يساً ثوباً لم يرد أن يلبسه ، ومصبوغاً بصبغة لم يردها لنفسه . وكذلك كان أبيقور . فأين لذة الروح التي عكف عليها ، من لذة الجسم التي أكب عليها اتباعه وأصحاب مذهبه الفلسفي من بعده ؟

بعد الذي أدلينا به من القول في رباعيات عمر الخيام ، وبعد المقارنات التي استطعنا أن نقف عليها وسرد ما عثرنا عليه منها ، لا نظن أن أحداً من النقاد قد يتورط في لومنا اذا نحن قضينا بان عمر الخيام الشاعر ، لا يمكن أن يعرف الا من مخطوطة مكتبة « بودلى » با كسفورد . اما كل الرباعيات التي ترجمها نيقولا وبودنستيد ووينفيلد وباين وغيرهم ممن عنوا بترجمة الخيام عن مخطوطات يرجع تاريخها الى ما بعد تاريخ مخطوطة مكتبة « بودلى » أو من نسخ مطبوعة على الحجر ، فيجب علينا أن نطرحها جانبا . ذلك لأنه من أعق الأشياء للبحث العلمي الصحيح أن تنقب في الرباعيات ثم تقسمها الى صحيحة ومشكوك فيها ومنتحلة بالفعل ، كما يفعل الباحثون في الاحاديث . فليس لدينا من ضابط معين أو دستور محكم للبحث يعيننا على ان نفرق بين ما كتب الخيام وبين ما لم يكتب ، أو بين ما يمكن أن يكون له ، وبين ما يمكن

أن يكون قد دس عليه غيره من الشعراء . وموقفنا في هذا كموقفنا ازاء القصائد العديدة التي تنسب زوراً الى الجاهليين ، او كموقف الانجليز ازاء شكسبير ، او موقف العالم الأدبي كله ازاء اليانعة هوميروس . ومهما يكن من امر هذه الأبحاث ، فعندي أنه من الواجب أن نكتفي بمخطوطه مكتبة «بودلي» وان نتخذها اساساً لبحث رباعيات الخيام . هذا حد الامكان . فانها اقرب المخطوطات عهداً لعمر الخيام . والفواصل الزماني ٣٥٠ سنة «فقط» . يجب أن نقنع بهذا مرغمين ، ولا بد مما ليس منه بد .

ولقد اعتمد الاديب « فنزجرالد » في ترجمته على مخطوطة مكتبة «بودلي» من جامعة اكسفورد . لهذا وجب علينا ان نتخذها اساساً لدرس الرباعيات . ولكن من سوء الحظ تجد كثيرين من ادباء الانجليز وفيهم نخبة من أهل الشهرة وابد الصيت ، يقولون بان الرباعيات التي ترجمها فنزجرالد ، وأن أدت بنا الاسانيد التي تقع بين ايدينا على انها اقرب ما ينسب الى عمر الخيام ، فانك إذا قرأتها في الانجليزية فانك لا تقرأ الخيام ، ولكنك تقرأ فنزجرالد . فمثلاً يقول المحترم مستر «وير» انك في اكثر من نصف الرباعيات لا تعرف اذا قابلتها بالاصل ايها يقابل الرباعيات الأصلية .

ولا جرم اننا لانستطيع بعد هذه الافاضة ان نذهب بانقاريء في بحث جديد نتطرق اليه ، وقد يطوح بنا في عدد كبير من صفحات العصور . لهذا نتركه في هذه الحيرة لنعاود واياه البحث فيما بعد . وموعدنا الاعداد التالية

رباعيات الخيام

مترجمة بقلم فيلسوف العراق

السيد جميل صدقي الزهاوي

— ١ —

نشر فيما يلي رباعيات الخيام كما ترجمها فيلسوف العراق المعروف السيد جميل صدقي الزهاوي . توطئه لدراسة مستفيضة نتناول فيها مقارنة التراجم التي ظهرت حتي اليوم لرباعيات الشاعر الفارسي المشهور ، ثم نقابها بالترجمة الانجليزية لفتز جرالده ، وهي الترجمة التي اعترف بأنها أدق التراجم الانجليزية . كل هذا بعد أن أشرح باستقضة ما دار حول الرباعيات من مناقشات الادباء والفلاسفة الذين وقفنا على كلامهم في هذا الموضوع

وقد قسم السيد الزهاوي ترجمته الى ثمانية أقسام سنشرها تباعاً في العصور ونبدأ اليوم بترجمة ما قال في الخمر ، بعد أن ننبه على أن السيد الزهاوي لم يكتف بأن يضع بين أيدينا الترجمة العربية وحدها ، بل زاد عليها الاصل الفارسي مع ترجمتها ثراً ، وهي طريقة لم يتبعها غيره حتي الآن .

* * *

١ - في الخمر

— ١ —

اغتم العشب فهو اخضر غض وتشف كأس لحميا عليه
قبلما يبدو العشب أخضر غضاً من تراب يوهماً تصير اليه

— ٢ —

استقني كأساً فهي تعدل عندي الف دين وألف ملك وطيد
ليس من مرة سواها تساوي الف حلو في كل هذا الوجود

— ٣ —

انما الراح وهى فى الكأس تبدى لمعاناً روح مجسم تجلى
وكان الكأس التى قد حوتها ماء بالنار المضيئة حبلى

— ٤ —

لا اعاف السلاف مادمت حياً قد اصاب ارتياحهم شاربوها
انى قد حسوتها قبل هذا وكما قد حسوتها احسوها

— ٥ —

اشرب الراح مدمناً ثم انى لا ابالى كفرةً ولا إيماناً
قلت للدنيا ما صدقك قالت هو ان تستمر بى جذلاًنا

— ٦ —

عفت زهدى وكل تلك الوسوس ولزمت الخانات بعد المجالس
وعسى ان اعيد فيهن عمراً كنت قبلاً اضعته فى المدارس

— ٧ —

بالحميا احيا فيا طيب يوم فيه عقلى من الحميا يضيع
ويقول الساقى الالهك اخرى وانا للعياء لا استطيع

— ٨ —

حبذا خمرة تحرر تقسى من هموم تعضها كالكبول
حيهل يا صاحبي على الراح كيا نطلق الروح من قيود العقول

— ٩ —

ان نضحت الطود الاشم بخمر رقص الطود ناشياً جذلاًنا
انى لا اتوب ما عشت عنها فبى روح يهذب الانسانا

— ١٠ —

ما على هذه البسيطة خير من عقار يلذها الشاربونا
عجب لى من بائعها فهم اوفضل مما باعوه ما يشتروننا

— ١١ —

لا يتم الضوء الا بخمر للذى للشعار فى الحان برعى

اسقنيها فان ثوب عفا في شق حتى لا يقبل الشق رقماً

— ١٢ —

امنحوني من السلافة قوتاً واجعلوا وجهي يشبه الياقوتاً
واذا مت فاغسلوني بخمر وانحتوا لي من كرمة تابوتاً

— ١٣ —

انما العيش ان تعاقر خمرأ ما لهذا الشباب فيك ثبات
هو ذا الورد والرفاق سكارى فاغتم شربها فذاك الحياة

— ١٤ —

انا في ميعة الشباب ساحسو خمرة عرفها من الطيبات
لا تعيبوا تلك المرارة فيها إنها مرة كمثل حياتي

— ١٥ —

انتي ان صحوت يزداد هني واذا ماسكرت ينقص عتلي
انما بين الصحو والسكر حال انا في غمتي بها متسلي

<http://Archive.Sakhr.it.com>

قد اتاني من حانة القوم سوط في بياض الصباح يغري النفوسا
قائلا : قم نشطف كأس الحميا قبلما يصنعون منا كؤوساً

— ١٦ —

انا ان لم احس السلافة يوماً كان اللهم في فؤادي ديب
قيل لي تب فقلت ان كان ربي لم يشأ توبتي فكيف اتوبه

— ١٧ —

ارتشفها ولا تؤمل وراء الموت نشرأ منع الطبيعة دونه
انت يا غمر است بالتبر حتى يخرجوه بمد ما يدفنونه

— ١٨ —

قيل لي الحور في الجان حسان قلت خير منها ابنة العنقود

فخذ النقد ذا وذركل وعد يحسن الطبل صوته من بعيد

— ٢٠ —

ارتشفها فانت من بمد حين في حفير تحت الثرى تتغيب
لست تدري من أين جئت الى الـ دنيا ومنها يوما الى أين تذهب

— ٢١ —

حاسب النفس قال كياسه أن تع رف ماذا جلبت ماذا صرفنا
قلت عنها أعفاذ سوف أردى سوف تردى شربتها أم عففنا

— ٢٢ —

انت ان لم تحس الحيا فلا تطـ من عن بحسوها وقد كان حرا
تدعي الفخر في مجانبه الخمر وتأتى ما كان منها أضرا

— ٢٣ —

اتخذ جنة لنفسك في الدنيا من الخمر واغتبط بجناها
أنت لا تدري تلك ان هي حقت أتراها هناك أم لا تراها

— ٢٤ —

أشربنها فانت لست من الوسواس تنجو الا اذا ما شربنا
أنت بعد الرحيل مالك عود فاذا ما ذهبت يوماً ذهبنا

— ٢٥ —

اسقنيها فاني لست أدري أى يوم احل فيه حفيري
ربما جاء الموت بين شهيق لى على حين غفلة وزفير

— ٢٦ —

جاء بالامس من هديت بكأس وهو يلقي على نظرة حب
قال لى خذها من يدي واحسونها قلت لا أحسوها فقال لقلبي

— ٢٧ —

متع النفس بآبنة الكرمة الغبياء وأنعم بعرفها والجمال
أقرب البنت بالحرام ولا تقرب من الأم ساعة بالحلال

— ٢٨ —

ارتشف خمرة ولا تتفكر في حياة مصيرها لنفاد
أحر بالعمر — خلفه الموت — أن يصرف في حال السكر أو في الرقاد

— ٢٩ —

يارفاقي أن ضمكم يوم خمر فاذكروني في غيبتى واشربوها
وإذا ما أدرتم الكأس فيه وأتت منها نوبتى فاقلبوها

— ٣٠ —

علم الله قبل خاقي أنى أشرب الخمر ثم لا اتخلي
فإذا ما منعت نفسي منها كان بي علم الله من قبل جهلا

<http://Archive.Sakhril.com>

أنا بالراح وحدها متأسى لا أمد اليمين إلا لكأس
أن أكن أعبد الحميا فما أعبد يوماً للجهل مثلك تنسى

— ٣٢ —

إنما الناس إن أبوا على الصلح فاني على الوغى ذو جساره
إنها خمرة عتاق فمن لم يجترعها فرأسه والحجاره

— ٣٣ —

أيها الممتنى نحن أتقى وأصحى منك لا تقسو مثلاً أنت تقسو
أنت تحسو دم الانام وأنا لدم الكرم وهو في الجام نحسو

— ٣٤ —

انظر العشب النض واشرب عليه خمرة تنسى شاربها الشجوننا

ليت شعري اذا بدا العشب يوماً من ثرائنا فمن هم الناظروننا

— ٣٥ —

كنت يوماً سألت شيخاً عن الما ضين والشيخ نضو سكر يعيد
قال لي أشرب كأساً فان كثيراً مثلنا قد مضوا ولما يعودوا

— ٣٦ —

ارتشفها ولا يغرك وعد بجنان خضر وحوور وولد
فذر الوعد واحسب النقد غما ان تقدأ أحب من ألف وعد

— ٣٧ —

لا تفكر في جنة وجحيم وأطردن الاوهام عنك بكأس
من ترى زج في الجحيم ومن ذا جاء يوماً من جنة الفردوس

— ٣٨ —

اصطحب إبريقاً وكأساً وعمم روضة زهرها يسر النفوسا
رب قد لدن لهيئاء رود صار إبريقاً ثم صار كؤوسا

— ٣٩ —

أطو كشحاً عن العلوم جميعاً أي تمتع من العلوم أتانا
ثم أوسع دم الابريق سفكا قبل أن يسفك الزمان دمانا

— ٤٠ —

خمرة ان واصلتها ارتاح فكري واذا ما هجرتها ضاق صدري
إنني أخشى أن يعدوا زماناً لم أذق فيه طعمها من عمري

— ٤١ —

طالع البدر فأشربن على اضوائه خمرة تسر الجنانا
فكثيراً ما سوف ياطع هذا البدر من بعدنا وليس يرانا

— ٤٢ —

أيها الساقى ليس بالوقت مهل فاغتنم فرصة المسرة واطرب
 أى شيء من القيامة تخشى هات كأساً فالليل قد كاد يذهب

— ٤٣ —

مدت الشمس الحبل للآكام ثم صبت سلافها في الجمام
 ولقد نادي بالصباح المنادي ملقياً للدوى في الأيام

— ٤٤ —

قيل شهر الصيام امسى قريباً وستنأى عن ابنة العقود
 قلت اشتفها إشعبان حتى لا أرى صاحباً ليوم العيد

— ٤٥ —

خذ من العيش في السرور نصيباً وتمتع بخمرة في حياتك
 أما الله عن تقاك غنى فتفرغ منها الى لذاتك

http://Archivebe1a.Sakhrif.com

تأملات في الأدب والحياة

بين الشرق والغرب خصومة قديمة ، يرجع اصلها الى الدم والى اختلاف النزعات التي يوجد لها عادة تباين الناس في الميول والنزعات . فاذا رجعت الى التاريخ القديم الفيت هذه الخصومة قائمة على قاعدة تختلف عن القاعدة التي تقوم عليها الخصومة في العصور الحديثة .

اينعت المدن الأولى في جنبات الشرق وتحت ظلاله الوارفة . ففي غابات الهند القديمة ، وفي الوديان الخصيبة كوادى النيل والفرات ، نشأت اول الجماعات الانسانية التي اقامت مدنية شيدت اسسها مع المدن المسورة الحصينة . ومن طريق المدينة تكونت فكرة القومية ثم اتسعت فكانت الامم التي يجمع بين افرادها نظام ، المدنية احد مظاهرها .

لهذا كان الشرق اسبق من الغرب الى تكوين فكرة الاستعمار وغزو الشعوب التي حفت بجرا كز المدنية القديمة في وديانها الخصيبة وغاباتها الملتفة . وهناك سبب آخر للخصومة تستبينه في قيام الروح الدينية في الشرق . فتحت سماء الشرق الصافية وفي براريه وصحراواته المتسعة نشأت الأديان الأولى . فنشأ في الهند بوذا وبراهما وفي الصين كونفوشيوس العظيم وفي بركة فلسطين موسى وعلى ضفاف الأردن عيسى وفي جوف الصحراء محمد . هؤلاء هم المصابيح التي اشع ضياؤها في سماء الجهالة الاولى فانارت السبيل على قدر ما احتملت عقلية الأنام في العصور التي نشؤوا فيها . أما الغرب في ذلك الحين فلم يكن ليسترشد بشيء من هذه الاقباس ، بل كان لا يزال عاكفاً على الصور الميثولوجية القديمة ، قائماً من الحياة بأن يكون اهله قبائل لا عمل لها الا ما كان لاعراب البادية من عمل قبل الاسلام وبمده .

وكرت السنون وانقلبت آية الحياة ، من حياة روحانية عكف عليها الشرق الى حياة مادية ومدنية صناعية لم يعرفها الا الغرب . وهنا انقلب وجه الخصومة ، ورجعت موجة الحياة تمد من الغرب على الشرق فتغرقه في

غمار تلك المدنية المادية فهوى في بحرها الخضم الى الاعماق .
 اما اذا عرف الشرق كيف يستطيع ان يقاوم هذه المدنية المادية فهناك
 يتحرر . ولا أظن أن الشرق يمكنه أن يتخلص من مخالب هذه المدنية قبل
 أن يمرن على انتحائها ليقاوم موجة الاستعمار الغربى بقوة مستمدة من
 قنم مدنيته .

* * *

ظل الجامع الأزهر ، وهو الجامعة الاسلامية الكبرى في انحاء العالم
 الاسلامى ، في مخاض يعانى آلامه سنين طويلة . وفي ظنى أن زمان الوضع قد
 قرب . ولعل هذه الآلام الطويلة تحبو هذه الجامعة الكبرى بمولود جديد
 تقر به عين مصر وعين العالم العربى الاسلامى باجمعه .
 بدأت هذه الجامعة الازهرية تشعر بآلام المخاض عندما فكر الاستاذ
 الكبير محمد عبده فى اصلاح الازهر ، وعندما أراد أن يدخل فى برامجه
 علم الجغرافية والفلك وشطر من الفلسفة اليونانية التى تؤيد نظريات الاسلام ،
 وغير ذلك من وجوه الإصلاح . ولقد اشتدت بعد هذه الحركة آلام المخاض
 فرمى المصاحح الكبير بالكفر والمروق عن الدين والخروج على السنة
 والكتاب .

واليوم نسمع من فضيلة شيخ الجامع الأزهر فى مذكرته التى رفعها الى
 رئاسة مجلس الوزراء أن الدين لا يماند العلم وأن الازهر يجب أن تحوّر برامجه
 تحويراً أبعد مدى عن التحوير الذى اراده الاستاذ محمد عبده . اليس فى
 طاب الاستاذ صاحب الفضيلة أن يكون دلم متاركة الأديان من العلوم
 الاساسية فى الأزهر ، دليلاً على أن هذه الجامعة كادت تتخلص من آلام المخاض
 الطويلة وأن زمان الوضع قد قرب ؟

* * *

يفكر صاحب المعالى وزير المعارف بمجد فى انشاء مجمع علمي ، قد
 يطلق عليه اسم المجمع اللغوى او الاكادemy او غير ذلك من الاسماء . ولا

يعني ان يكون مجعاً او منتدى او اكاديمي فالاسماء لا قيمة لها بجانب النظام الذى يجب أن يقوم عليه هذا المعهد الكبير.

ولا يجب أن ننسى مع تكوين هذا المعهد انه يتكون فى مصر وفى الشرق . لهذا ينبغي لنا أن نلاحظ فى تكوينه عدة أشياء :

أولاً — ان أعضاء المجمع التى هي من صبغة هذا المجمع فى أوروبا يعيشون من اقلامهم ، اما فى مصر فانه يتعذر على رجل يريد ان ينقطع للبحث والدرس ان يعيش من قلمه ولو كان فى منزلة الجاحظ بلاغة وفى منزلة سحبان فصاحة .

ثانياً — يجب أن يتكون المجمع من اشخاص احبوا العلم لأجل العلم نفسه ، وأن ينتخبوا انتخاباً يتوخى فيه قبل كل شيء المصلحة العامة ومصلحة العلم والأدب ، وأن يتحرر تكوين المعهد من الاغراض الشخصية .

ثالثاً — اذا قصد ان يكون هذا المجمع لغوياً وجب أن يلحق به معهد للترجمة يغذى المجمع دائماً بالمصطلحات الجديدة . هذا على ان يترك المترجمون احراراً فى وضع المصطلحات ويناقشون فيها امام المجمع وان تدون المناقشات العلمية اللغوية فى مضابط يرجع اليها ، وتكون هذه المضابط فى المستقبل نواة لوضع القاموس العلمى الحديث .

رابعاً — ان تهىء الحكومة اعضاء المجمع ومترجميه بكل ما يضمن لهم حياة هادئة بعيدة عن مشاغل الدنيا وان تكفيهم شر الحاجة لينصرفوا الى العمل المنتج بقدر المستطاع .

هذه الاشياء الاساسية يجب ان تراعى فى تكوين هذا المعهد الكبير الذى سوف يكون ، ولو عندى على الاقل ، اكثر فائدة من مائة جامعة يدرس فيها فطاحل من امثال لالاند وغيره من العلماء الذين لا يمكن ان ينزلوا الى مستوى طلبتنا ولا يمكن ان يرتفع طلبتنا الى مستواهم .

يجرنا حديث المجمع اللغوى الى التحدث عن الجامعة . فقد دارت مناقشة بينى وبين احد الاصدقاء المطاعين على حركة العلم والتعليم فى أوروبا ، وكان

من رأيه أن الجامعة المصرية الحديثة لا يمكن ان تنتفع بامثال لالاند ودجوي وغيرهم من كبار الاساتذة الفرنسيين وان الجامعة ان انتفعت بمن هم في منزلة هؤلاء من العلماء العاملين الذي يدرسون علوم النبات والحيوان والفيزيكا والكيمياء مثلاً ، فانها لن تنتفع بامثالهم ممن يدرسون الآداب . والسبب من هذا ان اساتذة الآداب الذين يصلون هذه المنزلة العليا تتحجر آراؤهم وتتبلور حول مذهب معين قد يكون مبتكراً او منتحلاً ، وقد يكون راجعاً الى مذهب حديث أو قديم . وهؤلاء لا ينتفع بهم طلبة مبتدئون في الدرس يجب ان يدرسوا العلم من ناحية تاريخه اولا ليقفوا على تدرج العقول فيه واوجه نشوئه وتطوره . وكان من رأى محدثي ان الجامعة يجب ان تنتخب اساتذتها من الطبقة التي يمكن ان توافق فيها مقدرتهم عقلية الطلبة المصريين على حسب كفاياتهم .

ولقد أخذت افكر في كلامه طويلاً ، ثم عجبت كيف أن هذه الاعتبارات قد غابت عن الذين اسسوا الجامعة ووضعوا قواعدها ؟ وما افترقنا الا وانا اشداقنا بما فكرته مما كنت قبل ان احادثه .

يعتمد الشرقيون دائماً على حكوماتهم في كل الاعمال العامة . وفي حدسي أن اول واجب على حكومات الشرق ان تضع هذه الحقيقة نصب اعينها . ولدينا دليل ثابت على أن هذه الحقيقة كانت طوال الأعصر ذات اثر بالغ في حياة الامم الشرقية . فلم تنهض امة من امم الشرق الا تحت ظلال حكومة تعمل على نشر العدل واقرار الحقوق من نصاها . وهذه الحقيقة إن أمكن تطبيقها على كل الامم في الشرق والغرب ، الا ان هنالك فارقاً لا تظن له دائماً . وهذا انفارق هو أن الغربيين قد استطاعوا أن يحوروا من نظام حكوماتهم بمحض ارادتهم ، فكانت الشعوب هي التي تكون الحكومات . اما في الشرق فان الحكومات هي التي تكون الشعوب .

بدأ مستر « بوزويل » الكاتب المعروف كتابه في ترجمة « صموئيل جونسون » معذراً عن تأليف الكتاب ، قائلاً ان كتابة ترجمة الرجل الذي بز كل أدباء الدنيا في الترجمة عن حياة العظماء مهمة شاقة . والحقيقة ان مهمة الكاتب كانت شاقة جداً .

وكما بز جونسون كل كتاب التراجم في الدنيا ، كذلك بز الشعب الانجليزي كل امم الارض في القدرة على الترجمة عن حياة عظمائه . وعندي ان هذا سر عظمة هذا الشعب . فان الرجل الانجليزي في مستطاعه ان يقف على دقائق حياة عظمائه من طريق الترجمة عن حياتهم التي ينقطع لها في كل عصر نخبة من الأدباء يشار اليهم بالبنان . بل في استطاعة كل انجليزي ان يكون من عظماء رجاله حلقات متتابعة تزوده بارقى المثل ، وتعظه بأنكى المثلات ، وتضع امام عينه تاريخ امته العظيمة في نسيج تتعارض في خيوطه الشخصيات العظيمة على مدى العصور

ولئن كان للشعب الانجليزي من أدب يضارع آداب ارقى الامم ، فانه يبرز كل الامم ويمتاز عليها بمنايقه في الترجمة عن حياة عظمائه . ولقد ينجح الى ان هذه صناعة اختص بها الانجليز ، ولعلها مستمدة من روحهم الوطنية ومن اخلاقهم القومية التي توارثوها جيلا عن جيل ، حتى انحدرت الى عصرنا هذا فكان من نتائجها تلك الامبراطورية التي يبتغضاها العالم — ولكنه لا يستطيع ان يستغنى عنها .

بدأنا ندرس عمر الخيام في العصور — وبدأنا نضعه في ميزان النقد والتحليل . ولا ادري كيف يمكن ان نخاض من درس عمر الخيام بكرة تمكن ان يكون فيها بعض الثبات ، اذا لم نعود الى درس امثاله من الشعراء الذين خلبت الحكمة في اشعارهم ، واخصهم ابو العلاء المعري . وكذلك سوف نكب على دراسة عصره الذي عاش فيه . ولكن الحقيقة ان كل عصور المدنية العربية متشابهة جود التشابه . ففيها تجري روح واحدة ، فاذا اختلفت في بعض الاحيان مظاهرها ، فانك تجد انه اختلاف يلابس ،

الكم لا الكيف

هذه بعض اعتبارات تواجهنا في درس عمر الخيام . علي اني اعتقد قبل كل شيء ان الاعتماد علي درس هذا الرجل العظيم يجب ان يوجه اولا الى درس تفسيته . وهذه دراسة لها فوائدها كما ان لها متاعبها ، ومصاعبها . خير انما علي اية حال الاساس الذي لا يمكن ان نبلغ الى درس عمر الخيام بنيره . فاذا استطعنا ان نلخص من درس عمر الخيام بتحليل تفسيته اولا بعد ان نمهد لذلك بدرس في حقيقة رباعياته ، لانها العمدة في هذا الدرس ، استطعنا ان نصل الى شيء من حقيقة هذه الشخصية الغامضة

يتساءل الناس كثيراً كيف تختلف روح البحث في المسائل العلمية عنها في بقية فروع المعرفة الانسانية . والجواب علي ذلك من ايسر الاشياء فان العلم يبعد عن الروح المذهبية ، فهو لا يجزم بان ما يصل اليه من النتائج مهما كانت صحة الادلة التي تقوم عليها ، يمكن ان تظل كما هي علي تنالي الدهور . فان اول ما في اسلوب العلم من المرونة الاعتقاد بان حقائقه رهن التغير والتبديل انا اريد ان تبعاً لما يجد في فروع المعرفة الانسانية من الابحاث والحقائق . اما بقية فروع المعرفة ، وان كان في استطاعتها ان تتبع في ابحاثها الاسلوب العلمي ، الا انها الى ناحية المذهبية اقرب منها الى ناحية التحرر . وهذا هو السر في الفرق بين الناحيتين ، ناحية اليقين وناحية التأمل

فيلو بونس

تراجم العظماء



لامارك

جان باتيست بيير انطوان ده مونت شيفالييه ده لامارك

Jean patiste pierre Antoine de monte chevalier de Lamarck.

من أشهر من أنجبتهم الامة الفرنسية من الطبيعيين . وليد سلالة من
أشرف السلالات الفرنسية وأضحىها مجداً . ولد في بلدة «بارتين» بمقاطعة
بيكارديا في أول أغسطس سنة ١٧٤٤ . وتوفي في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٢٩ .
م ٣ - ١٣ ع

دخل في أوائل أيامه الكنيسة ، وقفل منها الى خدمة الجيش . وبعد قليل وقعت له حوادث أقصته عن الخدمة في الجيش ، فصار كاتباً في إحدى البيوتات المالية وأكـب في أول عهده بدرس العلوم على الظواهر الجوية — *Metéorology* — ثم رغب عن هذا العلم الى النبات وحاول أن يقسمه تقسيماً جديداً ففعل ولكنه لم يصادف نجاحاً . وطبع عام ١٧٧٨ كتابه في نباتات فرنسا واقعاً في ثلاث مجلدات وهو الكتاب الذي أخذ العلامة «دهكاندول» — *de Candole* — فيما بعد قاعدة لكتابات ومباحثه . ثم انتخب بعد ذلك بقليل ليكون رئيساً لجماعة المباحث النباتية الملكية . وكتب خلال المدة التي قضاها في منصبه هذا كثيراً من المقالات في علم النبات نشرت في فرنسا . وبعد أن قضى من علم النبات مأربة ، اكبر على دراسة علم الحيوان . وفي عام ١٧٩٣ عين استاذاً لتدريس « تاريخ حيوانات الدنيا الطبيعي » فأفاد بمباحثه هذا العلم فوائد همة يذكرها له التاريخ في القرن الثامن عشر أجل ذكر . ثم ظهر كتابه — « تاريخ ذوات الفقار الطبيعي » — الذي كتبه بين عامي ١٨١٥ ، ١٨٢٢ واقعاً في سبعة مجلدات ضخام وهو من أشهر كتبه . ولقد وضع في كتابه هذا ، وفي كتاب « فلسفة الحيوان » — *Philosophie Zoologique* — الذي طبعه في باريس عام ١٨٠٩ واقعاً في ثمانية مجلدات ، من القواعد والنظريات ما يعتبر الآن بعضها من أخطر نظريات علم الحيوان الحديث ، ولم يفقدها من الزمان وتطور العلم ما لها من المكانة والشأن ، ولو أن معاصريه من العلماء لم يقدرُوا كتاباته قدرها ويعتبر كتابه « فلسفة الحيوان » حداً فاصلاً بين عهدين علميين ، عهد القول بالخلق المستقل ، وعهد القول بالنشوء في العصور الحديثة ، على ما يقوله الالمان ، اذ يقولون بأن مذهب النشوء تم بناؤه في مائة عام ، بدأها العلامة «كاسبار فردريك وولف» الالمانى بمقاله في الأجنة عام ١٧٥٩ ، وتوسطها «لامارك» عام ١٨٠٩ بكتابه « فلسفة الحيوان » وأتمها العلامة «تشارلز داروين» عام ١٨٥٩ بكتابه « اصل الانواع »

والعلامة لامارك عدا ذلك مبادئ فلسفية كثيرة منها ما ذكره دكتور « شميل » في كتابه الذي نقله الى العربية عن بختنر الالماني وهي :

١ - التقاسيم المعول عليها كالطوائف والصفوف والانواع ليست طبيعية بل اجتهدية

٢ - الانواع لم تتكون الا شيئاً فشيئاً ، ووجودها نسبي وثباتها في الازمة محدود

٣ - اختلاف الحالات الخارجية يؤثر في تكوين الحيوان وصورته كلياً وجزئياً

٤ - الطبيعة كونت الحيوانات اولاً فاولاً مبتدئة بادانها ومنتهية بارقاها

٥ - النباتات والحيوانات لا فرق بينها الا بالحس . (١)

٦ - الحياة ليست الا طبيعية

٧ - النسيج الخلوي اصل كل حي

٨ - لا مبدأ حيوي منفصل

٩ - الجهاز العصبي مولد الافكار وكل أعمال العقل

١٠ - الارادة غير حرة

١١ - الادراك ليس الا ارتقاء في اشتراك الاحكام

* * *

(١) أثبت السير بوز الهندي ان للنبات حسا كالحيوان . واذن يكون الفرق بين حس الحيوان والنبات راجع للكم لا للكيف .

هربرت سبنسر

Herbert spencer

هربرت سبنسر كاتب من أشهر كتاب الانجليز وجهبذ من الجهابذة المحققين الذين أخذوا من الفلسفة بنصيب وافر في القرن الماضي ولد في دربي عام ١٨٢٠ وعلمه أبوه مبادئ الرياضيات . وعمه « توماس سبنسر » احد رجال الدين اشتهر بحرية آرائه في المسائل السياسية والدينية . وكان « هربرت » مهندساً في خدمة الحكومة وظل في منصبه هذا ثمانية أعوام كتب خلالها رسائل في أبحاث هندسية ورياضية ، نشرت في صحيفة « الهندسة والرياضة » . وفي سنة ١٨٤٢ ظهرت له عدة مقالات في جريدة « النونكوتنورمست » في « سلطة الحكومات الطبيعية وحدودها » وطبعت بمد ذلك في كتيب صغير . وظل محرراً في جريدة « الايكونومست » — The Economist — حتى سنة ١٨٥٣ وفي خلال هذه الفترة طبع اول كتاب له « وهو » التقويم الاجتماعي . ومن ثم اخذ يرسل كبريات المجلات والصحف السيارة . وفي سنة ١٨٥٥ ظهر كتابه « مبادئ علم النفس » — Principles of psychology — وبدأ في أوائل سنة ١٨٦٠ ينشر مقالات عديدة في علوم مختلفة كالاجتماع وفلسفة الاخلاق والتربية والحياة ورسائل انتقادية منها رسالة في ماهية الارتقاء ، وانتقاد فلسفة « أوغست كونت » الفيلسوف الفرنسي المعروف صاحب الفلسفة اليقينية — The positive philosophy — وكتاب « علم النفس » الذي طبع بين عامي ١٨٦٢، ١٨٦٧ . « ومبادئ علم الحياة » — principles of Biology — عام ١٨٦٤ ومبادئ علم النظام الاجتماعي — principle of Sociology — طبع سنة ١٨٧٦، ١٨٨٠ ومبادئ علم الاخلاق — prinicple of Ethics — عام ١٨٧٩ . وكتاب في التربية عام ١٨٦١ ودراسة علم الاجتماع عام ١٨٧٢ وعلم

«الاجتماع الوصفى - Descriptive sociology- الذى جمعه وهذبه بين عامى ١٨٧٣ - ١٨٧٨ واقتداً واسع من نطاق نظرية النشوء والارتقاء وطبقها على فروع العلوم وبحثها، فهو بذلك من اكبر انصار « داروين » وأول من طبق مذهبهم على أصول العلوم الحديثة فى القرن التاسع عشر .

وهربرت سبنسر واضع « الفلسفة التركيبية » - sytnhetic philosophy - ولا يوقفك على ماهية فلسفته مثل العلامة « تيودور مرنز » فى كتابه « تاريخ الفكر الأوروبى فى القرن التاسع عشر اذ يقول -

« وبينما كانت المباحث التاريخية آخذة بزمام العقول فى المانيا ، بل قضت القضاء على « الفلسفة النظامية » - systematic philosophy - أى الفلسفة ذات القواعد المرسومة ، انتجت انجلترا لأول عهدها فى تاريخ التفكير مذهباً فلسفياً . ذلك المذهب الذى ابرزه العلامة الكبير هربرت سبنسر . على أن من الحقائق الخطيرة فى تاريخ الفكر ، ان مبدأ « توحيد المعرفة » الذى بثه سبنسر فى ذلك المذهب ، مبدأ تاريخى . وهو فى قوامه عبارة عن طريقة من التحول التدرجى التى نعرفها الآن « باسم النشوء » - Evolutionism - ويكون هذا المذهب فى مجموعته فكرة مناقضة للفكرة التى بثها « هرمان لودز » فى آخر مذهب فلسفى من المذاهب العظيمة التى ظهرت فى المانيا . فكل المذاهب النشوءية اذ تقضى بان وحدة الاشياء تاريخية صرفة ، وان هذه الوحدة يجب أن يعود الانسان فى بحثها الى اصل اولى عنه نشأت ، اذ بك تجدان « لودز » قد حاول أن يثبت أن الحقيقة تنحصر فى الاعتقاد بان لوحدة الاشياء وجود ثابت ، وانها مبدأ موجود فى كل الاشياء المفردة ، وليست كما يقول النشوءيون ، عبارة عن حقيقة تربط بين الموجودات بمقتضى الزمان والمكان .

ومن ذلك تدرك أن مذهب « سبنسر » فى النشوء يرمى الى اثبات « وحدة الفكر » مع احداث ذلك التصور الذى يؤدى الى الاعتقاد بان الاشياء تحتفظ ببقائها ، وان الحوادث تقع ، خضوعاً لعلاقة واقعة بينهما يمكن ادراكها ، وان وجهتى النظر الدينى والعلمى فى هذه الحياة يمكن التوفيق بينهما



ليوبولد فون بونخ

من أشهر علماء ألمانيا في الجيولوجيا والحفريات . ولد في استيلوبه بروسيا عام ١٧٧٤ وقيل ١٧٧٧ وتلقى علومه على الأستاذ « فرنر » في مجمع فريبرج العلمي . ثم رحل بعد ذلك عدة رحلات علمية في ألمانيا واسكانديناوة حتى بلغ رأس الشمال ثم عاد إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وزار جزر الكناري عام ١٨٠٢ - ١٨٠٩ وطبع كتابه المسمى « الملاحظات الجيولوجية في ألمانيا وإيطاليا » عام ١٨١٥ كتابه « وصف جزر كناري الطبيعي » . وفي عام ١٨١٠ طبع كتابه السياحة في نروج ولا بلاند » ونشر عام ١٨٣١ عدة رسائل قيمة في طبيعة تكون الطبقات الأرضية في ألمانيا . ونشر عام ١٨٤٠ كتابه في سلاسل جبال روسيا . وكان قد بدأ منذ سنة ١٨٣٢ ينشر مقالات في

اوصاف نوع من الأنواع الحفرية يقال له اصطلاحاً « العمونيات » -
 Ammonites - وكان العلماء قد سموا هذا النوع من قبل « قرن
 عمون » لمشابهته لقرن الآلة « جوبتير » - عمون - عند المصريين *
 وكان المصريون القدماء يمثلونه بكبش يضعونه في الهيكل العظيم الذي بنوه له
 في واحة سيوة * والعمونيات صنف من الأصداف ذو خلايا عديدة * وهو
 من الحيوانات الرخوة الكبيرة ، وله قرون عظيمة بعضها ملتو على بعض
 التواء يكون شكل دائرة تامة * وقال بعض علماء الحفريات بأنه ضرب من
 الأفاعى الحفرية * ورسم « فون بوخ » عدة خرائط بين فيها الطبقات التي
 تتكون منها الأراضي الألمانية ، وما جاورها من الممالك واقعة في ٤٢ لوحة *
 وتوفي برلين في ٤ مارس سنة ١٨٥٨ ، وكان على نبوغه من علم طبقات
 الأرض ، راسخ القدم في العلوم والتاريخ الطبيعي *
 ا. م.

أمل مفقود

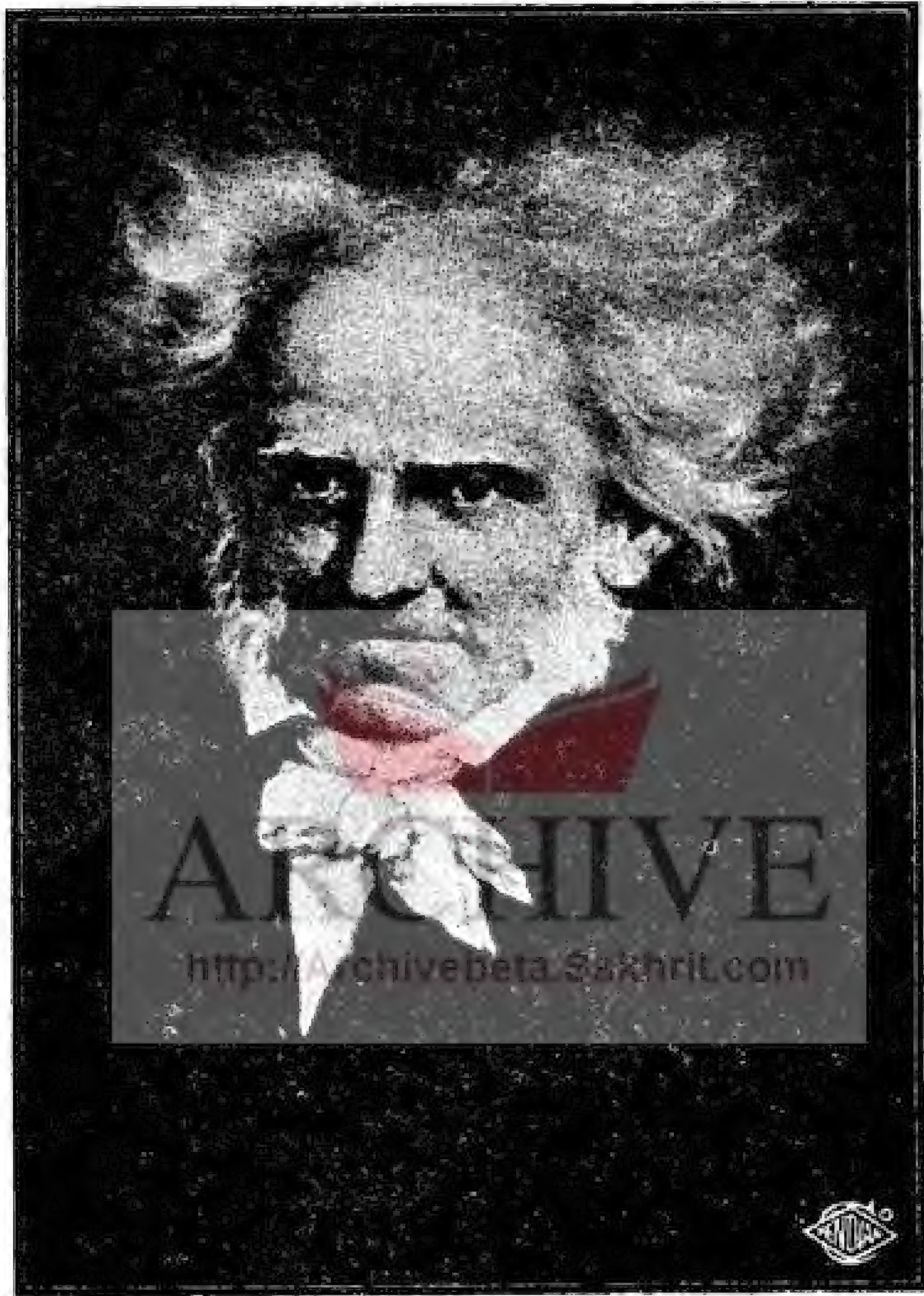
ضلت أمانى نفسي في مسالكها وأبهر الرشد عنها ليلُ دنيايَ
 سمعتها وهي تشكو الدهر قائلة « له من الحزن قد أحمات مرعايَ
 بثت في موطني هماً يؤرقني ويصدع القاب حتى عفت مشوايَ »
 وصاح قلبي بجرح الليل مرتجياً أن يستعيد له عهداً وإيايَ
 وقال : قد كانت الآمال بي سفاهاً ترسو على ، فقالت : أين مرساي ؟
 رمى بي الموج في تيار داجرة وأصبحت جزرُ الآلام مأوايَ
 ترحلت وترحات الآمالُ تتبعها وخاب في أن أراداً كل مسعايَ

ناجيتُ قلبي وقد ولي على عجل عني فما انصت بالقاب نجوايَ
 من أين لليل أذان فيسمعنا وهل تذيب حنان الليل شكوايَ
 نامت عيون الألى باتوا على أمل وسهدت في ظلام الليل عينايَ
 (كل يغني على ليلاه) متصراً لكنني لست أدري أين ليلاي !!

حسن كامل الصيرفي

شوبنهور

ومناه في الفلسفة الحديثة



ولد « ارتور شوبنهور - arthur schopenhauer » في « دانتزيج Dantzyig » في الثاني والعشرين من فبراير سنة ١٧٨٨ وكان أبوه تاجراً صيرفياً . فبعد ان تربى انتربية الحسنة وحصل القليل من العلوم ابتداءً يساعد أباه في الاشغال وفيما هو متجول في عواصم اوروبا للمصلحة التجارية فاجأه نعي والده فرجع الى انانيا يهتم بتسيير الاعمال كما تركها له لكنه لم يكن يرى من نفسه ميلا لتابعيتها فاعتزلها ودخل جامعة « جوتنج Goettingin » في برلين يدرس الفلسفة . وفي ذلك الوقت ، اي وهو في سن

العشرين • الف رواية « جبريله Gabriele » وكان يعد من الكتاب الممتازين •
والذين درسوا حياته بالتدقيق عرفوا مبلغ بغضه « لنخته Fichte »
ذلك البغض الذي ولد في نفسه الجزم بأرائه الفلسفية وعدم قبول التلمذة
على أحد حتى انه مدة اقامته في « يينا Jena » رفض قبول الآراء الشائعة
فيما يختص بالله والارادة

اول تأليف شوبنهاور « العالم كارادة وتمثيل La monde comme
Volonté et comme représentation » ظهر في « لينبرغ Liepzig » سنة ١٨١٩
وهو معارض به آراء كل من تقدمه من الفلاسفة وقد أثر كتابه هذا تأثيراً كبيراً
في الوسط العلمى ببلاغة لغته وقد قال عنه مسيو « فيشر Fischer » انه
اقدر كاتب في اوروبا من جهة ابداع الافكار وحسن سبكها في التعبير عما في
الكتب العلمية • والذي زاد اعجاب المفكرين به وقوفه كعدو لدود في وجه
انتقادات الرجعيين الملقبين « بدنتيست pedentiste » الذين لم يتركوا قبساً
من نور حرية الفكر يتلأأ في اوروبا في ذلك العصر • وقد بارح جامعة
« جوتنجن » الى ايطاليا بلاد الجمال والخيال ووقع فيها على عظمة الفنون
الجميلة التي ساعدته فيما بعد كل المساعدة على تفهم ما توخاه من الابحاث وعاد
من ايطاليا سنة ١٨٣١ الى فرانكفورت Frankfurt » فظل فيها حتى وفاته
سنة ١٨٦٠

— شيء من آرائه —

تنحصر عظمة شوبنهاور في وصفه مذهب « كانت Kant » في الله
والارادة • « فكانت » يقول ان الله مصدر الارادة و « شوبنهاور » يقول
ان الانسان مصدر الارادة ويستند كلاهما الى التعاليم « الميتافيزيقية » في
تثبيت رأييهما. ولكن « شوبنهاور » اقرب الى الصواب في آرائه من
« كانت » لانه اثبت بقوة البرهان ان ليس للآلهة من سلطة على البشر وان
ما يبدو من الاعمال الصالحة والشريرة يرجع لارادة الانسان الشخصية •

وقد استنبط لتأييد رأيه هذا أسلوباً جديداً أظهره بمظهر غير قابل للتحويل ورغبته في معارضة « كانت » كل المعارضة جعلته يتطرق في أسلوبه هذا حتى تشاءم من الحياة وقد حصر تشاؤمه هذا في ان الارادة الشخصية التي تكيف الناس حمقاء وعمياء وشريرة وان ايجابيتها تفرغ الموجودات بالتدريج وان اظهر مظاهر هذه الايجابية تتجلى في الفرع البشرى من حيث المعرفة والادراك، والمعرفة والادراك اداة توصل الى الحرية والى مقدار الرغبة * وليس هذا فقط ، بل ان هذه الارادة تؤلمنا في بعض الاحيان اذ انها تقذف بنا الى تيار المصائب الجارف وتدفعنا الى قهر انفسنا لنوال السعادة الوهمية والى حصول ذاتيتنا كما هي

تأليفه

تأليف « شوبنهاور » عديدة الا ان ما انتشر منها هو فقط * « العالم كراداة وتمثيل » سنة ١٨١٩ و « اربعة اصول مبدأ العقل الكافي » سنة ١٨١٢ و « النظر و الالوان » سنة ١٨١٦ و « المسألتان الاساسيتان للاهوت الأدبي » سنة ١٨١١ و « الارادة في الطبيعة » سنة ١٨٣٦ و « اساس اللاهوت الأدبي » سنة ١٨٤٠ وكأها على جانب عظيم من البلاغة وقد أثرت في عقلية الشعب الجرمانى تأثيراً محي كل ما كان قد علق بأذهان القوم من فلسفة « كانت » ومن سبقه من الفلاسفة المؤمنين * واول طبعة كاملة لهذه التأليف القيمة طبعها « فرودنيستادت » وذلك بدموته *

- آدابه -

لشوبنهاور آداب قله ما كانت لغيره من فلاسفة الجيلين السابع والثامن عشر فهو مع تشاؤمه كان من ارضى الناس اخلاقاً، لانه مع كشفه عن أصل الآداب قد سير نفسه في سبيل آرائه الصحيحة وقد اتخذ مثالا لنفوذ الباعث الأدبي الذي روض ذاته عليه ولهذا اشار الدكتور « ريفول دالونييه Revault D,allonner » في مقالة له أن جمعية الاتحاد الانجائزى لتحرير

العبيد التي اتفقت أكثر من عشرين مليون من الايرات لم تعمل أكثر مما عمله « شوبنهور » بنفسه

وهو في مبدئه هذا وفي آدابه يعارض مذهب « كانت » المعروف بمذهب « الامر والنهي الصريحان Limiperatif categorique » الذي يمثل الباعث الخيالى للآداب ذلك الباعث الوهمى والغير النافذ . فآداب الكانتين « Kantien » آداب مسيحية تزيث في زى من تلك الجمل المنمقة، أما آداب « شوبنهور » فآداب صحيحة مبنية على الرأفة والشفقة بدون طلب التعويض آجلاً أو عاجلاً .

يقول « كانت » ان الله علة ممكن الاعتراف بوجودها ولكنها ليست ضرورية للآداب وهكذا الزمان فانه مغذ لاغير ويقول ان الباعث الحقيقى للآداب هو المصلحة او الخوف ولكنه في قوله هذا يعارض مذهبه في كل تأليفه ولا سيما رأيه في تقدير قيمة الآداب وواجب الانسان نحو نفسه اما « شوبنهور » فيقول ان الرأفة هي الذبح الوحيد الذى تتدفق منه مياه الآداب الخالصة . وهكذا نودي بها في آسيا نيفا والى سنة قبل المسيح . وهى لا تشمل فقط أعداءنا من البشر بل من البهائم أيضاً وان منها تولدت فضيلة مؤسس المسيحية كما في الانجيل وهى التى حجرت على الانانية وعلى الخبث وعلى الطباع الشرسة وصارت كقائد حكيم لانوع البشرى تفرض الفرائض وتسئ الواجبات وتسير في طرق صعبة المسالك وانما توصل الى السعادة الاجتماعية

أقول هذا بدون أن أجمع بين الاحوال التى أوجدت آداب « شوبنهور » وبين مبدئه لان المبدأ طلب أولى تنجم عنه كل الواجبات، وهذا متفق عليه بين العلماء ولكن « الاحوال الموجدة » قوة طبيعية لا تتجزأ ولهذا فالمبدأ يحتاج فى الآداب الى الرأفة والا فيكون بدون فائدة

— الصلة بين آدابه وميتافيزيقيته —

الشعور بالخير فطرى فى الانسان وغريزة لا تتبدل والرأفة هى المؤسسة

الوحيدة لأعمال الانانية الاجتماعية ولكن أغلب تنظيماتنا الظاهرة هي مخاتلة من شأن طبيعتنا المملوءة بالغرور فكيف نجمع بين كل هذه المتناقضات ونوحد هدفها ؟؟ — والآداب مع أنها نتيجة الرأفة والشفقة أهي شرعية وذات علاقة بحياتنا الفردية والاجتماعية مع كل الاغلاط التي نرتكبها أم بالعكس ؟؟ . بل هي مع العدل ومحبة القريب مظهر من ازدياء هذه الآراء غير المعقولة « Fanastique » في هذه الحياة المتجهة الى التثقيف والفضيلة ؟؟ .

من هذه المسألة سار « شوبنهاور » فرغمى الافراد يختلفون عن بعضهم كل الاختلاف وانذهل من مظهر الانانيين والخبثاء والباعث بليل مركبة في نفوس الناس ، اعداها طالب معرفة حائدة عن الحقيقة والصواب ، مائة الى الخداع في المظاهر والأعمال . فلهذا رأى ان الرأفة احسن دراعى هذه المتناقضات فأحبها من كل قلبه لانها عرفتة مقامه في العالم ودلته على مركزه بين هذه الموجودات الحية المتألمة من الانانية والطمع

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

— انتقاد آدابه —

بنض النظر عن مذهبه التشاؤمي « pessimiste » ومذهب القائلين بان الله انما هو كل الكائنات « pantheiste » وبدون تجاوز حدود الحياة التجريبية والبحث عما اذا كان الوهم سائداً في هذا الكون دون الحقيقة ، اقول كلمة في انتقاد آدابه

في المناظرة الحاضرة تقطعان اوايان هما الرأفة المنزهة المطلقة والرأفة المقيدة بالحق والعدل ، وبينهما رأفة انانية ترثي لألم القريب فقط . ولكن هل تعد هذه الثلاث اصلية وعلة موحدة ؟؟

يقول « شوبنهاور » ان الواجبات العدلية العمومية المقيدة او المستترة تحت صورة اى مظهر سلبي آخر توضح ان الحق لا يعطى للناس الا بواسطة المساواة وهي بالاحرى صعبة ومحددة وهذا القول من رجل شاعر بالخير

انما هو على جانب من الابهام فهو يظهر لنا هنا ممتحناً برغبة وارتباك ليبين ان الرأفة لا تولد الا الدخول الايجابي في محبة القريب وكأنه يقول ايضاً ان هذه الرأفة تنفي من جهة ثانية هذا الدخول على انه لا بد منه وهو جار نافذ بمجرى عظيم وتموز اعظم هذا ما يؤخذ على « شوبنهاور » لانه عجز عن اعطاء الايضاحات الكافية لتأييد مبدأ اساسي في فلسفته له فيه حق الاسبقية وواجب الشكر وان كان مبهماً لانه هكذا ظن الحقيقة ولم يوصله اجتهاده الى ابعد من ذلك

ابراهيم حداد

بيروت (٨ آب سنة ١٩٢٨)

وقفه

على نبع القطين

ايه نبع القطين قد جف دمعى مذ انت الجنا وشاب فؤادى
جف دمعى، وكم ذرفت دموعاً فى شبابى، وكم شكوت سهادى
كنت ابكى اذا يئست، وطوراً فى هنائى وتارة فى رقادى
كنت اسخو بدمع عينى حتى اصبح القاب بعد ذلك صادى

انت يا نبع قد جفاك حبيبى مثلما صدنى فلم انت شادى
مثل هذا الخريف لى زفرات كن يسبين كل ناء وغادى
كن ينبئن فى الخيال جنانا اين منها رياض هذا الوادى
كان لى نير وشمس ونسم ونجوم ميسورة الاتقياد

انا يا نبع كنت مثلك حولى يفد الناس خاطبين ودادى
حبيب الياس

في الـ حاب

- ١ -

في ظلام الليل وتحت ستار الدجى ، وفي ليلة شاتية اشتدت حاكمتها
وارخيت سدول ظلامها ، خرجت سارة من بيت أبيها تحمل شجونها والآلامها ،
وتجرر من ورائها اذيال الخيبة والانكسار . وليتها خرجت تحمل هذه الآلام
وحدها ، بل خرجت تحمل شيئاً آخر . شيء ثارت من حوله تيارات المشاعر
النفسية كما تنور الكهارب من حول أنوية الذرات . فخب وبعض . وألم وأمل .
وذلة واعتزاز . وشعور بالخجل العميق تتلوه نية على التوبة الخالصة لوجه الله . وفي
وسط هذه الثورة النفسية التي انبعثت تياراتها القوية بأشد ما تبعث تيارات من
الانفعال في نفس بشرية ، شعرت سارة بحركة عنيفة اهتزت معها كل أعضائها
هزة ظاهرة ، وإذا بسببها جنين يختلج في أحشائها .

هي في الثامنة عشرة من عمرها ممشوقة القد هيفاء ، سمراء اللون تضرب
بشرتها الى لون أهل القرى الذين يعيشون في ريف مصر ، شديدة الانفعال
ثائرة العواطف كبيرة الآمال ، فيها جمال يغرى بها أهل الغواية ، ويغري بها
نفسها ، اذ هي تتصور أنها قبلة المحبين ومهبط آمال العاشقين . وكثيراً ما يكون
الجمال نقمة تنصب على أهل الجمال . وكثيراً ما يكون للغواية سلماً يعتليه الناس
وهم بعد في سن الشباب لا يعرفون للدنيا من قيمة ولا للنظامات التي يقوم عليها
المجتمع من سلطة . اما عنف النظامات الانسانية فيشعرون بها عن ما يتم الجرم
يوقع الكارثة .

وما كانت سارة أكثر شعوراً بثقل الوطأة التي ألقتها على كاهلها التقاليد

الانسانية ، منها وهى تفارق بيت أبيها تحت جناح الظلام ! ولكن الى أين ؟
الى الدنيا الواسعة . الى فضاء الارض التى لاتتناهى ولو درت حول كرتها الفأ
من المرات . الى الرحاب الترامية الاطراف .

— ٢ —

والارض تماؤها الخلائق البشرية . غير انها قد هجعت سحابة الليل ،
لتسعى اذا ماتنفس الصبح مرة ثانية على كسب أرزاقها ، من طريق الحلال ومن طريق
الحرام . فكلها طرق تؤدى الى كسب العيش ، والكفاف حلال أم حرام ، خير
من سؤال الناس مافي أيديهم عند العجز . لان الناس لم يعرفوا من معاجم
لغتهم أكثر مما عرفوا من كلمات الرد مصبوغة في قوالب متفرقة يختار منها كل
منهم ما يشاء .

وسارة تسير على غير هدى في طرق مشعبة متوية ، وقد خلت منها اليد وصفر
الجيب ، فلا بلغة ولا مال . وهى تعلم علم اليقين بان الناس لا يملكون من شىء
إلا كلمات الرد والانتهاز لانهم أحرص على مافي أيديهم من كسب حلال أم حرام
من ان يريقوه لامثال سارة بعد ان دهمتها أقدار الحياة بقدر اخرجها من بيت أبيها
محمل بين احشائها الجريمة مجسمة ، والرذيلة مصورة في صورة بشرية .

ومرت بها الظهيرة وجاء الاصيل ثم مال ميزان النهار وأخذت الشمس تنحدر
تحو مغربها الابدى . وسارت على الطوى ، تتقد بين جنباتها نيران الجوع ، غير
عالة الى أى مصير تقذف بها خطواتها ، وقد ضلت في فضاء الانسانية الطريق .
هنالك فى منعطف يكاد لاتتجه اليه أنظار الرقباء نترك سارة في حديث
ذى شأن مع شاب من شباب زمانها الذين استوتهم زخارف المدنية ،
وفتنهم منازع الصباية ، لالتركها الى الأبد بل لخلقها بعد ردى من
الزمان طويل .

— ٣ —

— أتدرى أى حدث ينتظرنا فى جلسة الليلة يا عبد الفتاح ؟
— أى شىء قاله كينة مستتبة فى البلاد ، والوزراء منصرفون الى أعمالهم ،
والاحزاب لا تجد من مجال لاثارة الشقاق القديم ، لان الحوادث لم تفتح
المجال لتجديده .

— اذك واهم يا حضرة العضو المحترم بل هنالك حملة مدبرة . من حزب الاقلية
تريد أن تمهد بها السبيل الى الدعوة الملوكية فى بلادنا بعد أن حصلنا على نعمة
الحكم الجمهورى . فان حزب الاغلبية وعلى رأسه عقيل البدوى ، ووكما تعرف
خطيب مفوه وزعيم واسع العتلى كبير المطامع ، سيبدأ اليوم حملته الاولى على
الحكم الجمهورى .

— أنت تبالغ ياسامى فى قولك .
— ليس فى هذا مبالغة ، بل هى الحقيقة ، فان الحزب الملكى ، وهو اقلية لا يهتم
بها انسان فى هذه البلاد ، قد استعان بعقيل ~~ك~~ كما تعرف ، وقيل عقيل أن
يكون رأسه المدبر واسانه الناطق ؛ ليقلب الجمهورىة الى ملوكية يستعبدنا فيها
الملوك كما فعلوا بأبائنا فى العصور القديمة .

— او هذا عصر الملوكيات ياسيدى . هاهى فرنسا تنعم اليوم بجمهوريتها ،
بل لديك تركيا والصين ، ولا أذكر لك أمم أمريكية على اختلاف نزعاتها وتباين
مشاربها . ان الملكية فى هذا الزمان اصبحت فى حكم البقايا المستحجرة التى
خلقتها الاحياء المنقرضة ، ليس لها من معنى اللهم الا لتدل على أن الماضى قد
شهد ملوكيات خضعت لها الامم ، ورضيت أن تعيش فى كنفها ذليلة حقيرة .
— ولكن لا تنسى مع هذا أن للملوكيات المنظمة حسناتها التى لا يمكن أن
تنال فى ظلال الجمهوريات . فان للنظام الملكى تقاليد ومفاخره ، وله تاريخه
الذى يستفز الامم ، ويبعث فى نفوس الناس من شعور العزة القديمة ، مالا

تبعثه الجمهوريات . ولا يعزب عن ذهنك أن للملوكنات روعة الاشياء الموروثة عن الماضي . وهى روعة لا تجدوها فى الجمهوريات القريبة العهد مثل جمهوريتنا هذه . ولا تغفل بجانب هذا عن أن عقيلاً البدوى رجل يعرف كيف يقاب الحقائق وكيف يؤثر فى الناس . واثق عجز فى البرلمان عن أن يستغوى العدد الأوفى من الحزب الجمهورى ، فان تأييده فى الجماهير سوف يزداد مع الزمان ، وربما استطاع ان يضعف حزبا ضعفاً ظاهراً اذا لم يكتب له النصر فى النهاية . — كل هذه الاعتبارات لاتعنى . ولكن الذى يعنى الآن هو كيف تحتمل جمهورية مثل جمهوريتنا ان يبشر فى داخل مجلسها النيابى بالنظام الملكى . وهل تسمح بذلك القوانين ؟

— الامر على النقيض . فلو كنا تحت حكم ملكية اذن لاستطعنا أن نسكت الذين يجاهرون بميولهم الجمهورية ، أما ونحن تحت ظلال جمهورية فليس من حقنا أن نسكت الذين يطالبون بالملوكية .
http://Archivebeta.Sakhril.com

— والسبب ؟
— السبب أن الجمهوريات تمثل أوسع الحريات التى يمكن أن يتمتع بها شعب من الشعوب . وهى تحت عنوان حماية الحرية تعجز عن حماية نفسها .
— نظام غريب . وهكذا يعيش الحزب الملكى فى فرنسا ، كما يعيش عندنا .
— نعم ولكن دى ريفيرا قد حطم الحزب الجمهورى بذلك استطاع أن يحوى ملوكيته التى اقسم لها بين الطاعة ، وبذل جهده فى سبيل صيانتها وصيانة مصالح اسبانيا من طريقها .

— الظاهر أن الامم الشرقية لم تخلق لتحكم فى ظلال الجمهوريات . بل أنها عجزت عن أن تنفذ النظام الديمقراطى تنفيذاً ينصرف الى الصالح العام . وكيف تستطيع الامم الشرقية أن تطبق هذا النظام فى الوقت الذى عجزت فيه أكثر الامم اللاتينية عن تطبيقه ؟

— لقد بدأنا تؤيد عقيل البدوى قبل أن نسمع ما سوف يدلى به
من بيان .

— ٤ —

-- للأقلية الحق في أن تعبر عن آرائها بملء الحرية . فانا وإن كنا من
الحزب الملكي ، الا أن النظام الجمهورى يحمينا .
- ان لى الحق فى أنت أمنعك عن الكلام بصفتي رئيس المجلس ومن
ممثلى الحزب الجمهورى الذى هو حزب الاغلبية ، التى تدين برأيه البلاد .
- اصرح بصفتي رئيس حزب الاقلية أن البلاد التى تدعون تمثيلها لا
تعرف ان كانت تحكمها أغلبية مطلقة كما تدعون ، أم تحكمها أقلية نشيطة اتخذت
أغلبية هذا المجلس ذريعة لاقتناص أغراضها . فنحن وأنتم أقليتان . أما
أقليتنا فترتكز على عقلاء البلاد . وأما أقليتكم فترتكز على الجماهير . فاذا زدت
علينا بالعدد ، وازناكم باصالة الرأي ودرجاجة الحكم على حقائق الاشياء . واذا
أنت منعتنى عن الكلام اليوم فانك لن تستطيع أن تمنعنى عن الكلام
الى الأبد .

- حقوق القانونية استعمالها فى منعك عن الكلام ، ويؤيدنى فى هذا
أكثرية هذا المجلس المؤقر .

- نعم مجلس مؤقر جداً لانه يؤيد هديانكم ويرضى بان تقتل الحرية جهاراً
ويمنع مثلى عن الكلام فى نظام البلاد الاساسى ، وقد اخترتم فى أول ما اخترتم
النظام الجمهورى ليتسع لكم مجال التحكم فى الرقاب بحق وبغير حق .
- نحن لا نريد أن نفتت على حرية أحد . ولكن اذا كانت الملوكيات
لا تسمح للجمهوريين بان يعيشوا فى ظلالها ، فكذلك الجمهوريات لا يجب أن
تسمح للملوكيين أن يعيشوا دعوتهم الخبيثة وهى قائمة فى الحكم . وبين يدي

الآن اقتراح بإلغاء الحزب الملكي ، وبأن يصدر المجلس قراراً بفضه واتخاذ كافة الطرق للقضاء عليه .

- هكذا تكون الحرية في ظلال الجمهوريات . وهكذا يقتل الحق وتضيع حقوق الملوك المقدسة ضحية نزغات تجرى في أدمغة أمثالكُم من الأرقاء الذين استعبدهم شهواتهم ، وقتلتهم أهواؤهم ، وهم على الرغم في أنهم أقلية تسحق أمامها أكثرية لا قيمة لها في البلاد ، يدعون بأنهم الاكثرية التي لها الحق في أن تكون في مكان الملك الذي يحكم البلاد في حدود نظماتها الأساسية . نعم . أن كل جمهوري في هذه البلاد قد أصبح ملكاً مطلقاً تعنوله الجباه وتخضع له الرقاب . إننا نحكم بمآت من الملوك بدل ملك واحد . ولاني بصفتي رئيس الحزب الملكي ، وهو حزب الأقلية العاقلة مع الفخر الكبير ، لا أحترم لمجلسكم هذا قراراً يصدره أوحكماً يبرمه . واني

- خست وبأي حق تتكلم في حكم هذه البلاد وأنت من غير عشاؤها المعروفة ، ولا أب لك تنسب اليه . فان الذي يتكلم في الحقوق العامة يجب أولاً أن يعرف كيف نشأ ومن أي صلب انحدر .

ولم تك هذه الكلمات القاسية تصل الى أذني عقيل حتى وهي جلده وكادت تخونه شجاعته . ولكنه تجلد وتمالك نفسه شيئاً فشيئاً حتى استطاع ان يستعيد بعض ما تفرق من قوة بديته . ثم اندفع يقول :

- ليس لهذه الاشياء الشخصية من علاقة بمسائل خلافية نريد أن ندلي فيها برأينا في نظام البلاد . أما اذا كانت البنوة الشرعية من شأنها أن تخرج للبلاد كثيرين من أمثالك فاني أفضل عليها البنوة غير الشرعية اذا كان من شأنها أن تزود البلاد برجال يعرفون قدر بلادهم وقدر أنفسهم

وبعد نظرات زائغة رمى بها أطراف المجلس يمم بها شطر الباب بخطوات ثابتة رصينة ، ثم التف بعباءته الكبيرة وأطرق الى الأرض . ولكن خطواته

كانت تساق أفكاره ليلقي أمه ، وهي على فراش الموت تنزع أنفاسها الأخيرة

— ٥ —

الأم على فراشها وعقيل بالباب . غير أنه كان على الرغم من ثباته مصفر الوجه
رائع البصر يحدج أمه بنظرات حادة قوية .

— اقرب مني يا بني لا باركك وأدعوك دعواتي الأخيرة لعل الله يستجيب
لأم في ساعلمها الأخيرة دعواتها لابنها الوحيد .

— أماه !! لقد خدعتني طوال هذه السنين . إذا كان أبي قد سافر فلماذا
لا يعود ؟ وإذا كان لا يعود أبداً هو ؟ وإن التقيت به ؟ وهل أنا ابن شرعي
لذلك الأب الموهوم

— رحماك يا بني بأمرك وهي في ساعاتها الأخيرة .

— لا بد من الجواب الصريح ، وإلا فإن هذا النصل يغيب حتى نصابه في
قلبك ، فإذا انتزع فإنه يغيب مرة أخرى في قلبي ، لينتهي سوية إلى جهنم أو إلى
الشیطان . تكلمني .

— رحماك

— لم يبق في قوس الصبر منزع بعد أن اعير بأن ليس لي أب يعرف
أصل انتسب إليه .

— إذا كان الأمر كذلك فإني لست أخجل عن أن أحدثك عن أبيك وعن
زيتي .

— أحدثيني عن زلتك أيضاً ! التجريين على هذا ؟

— تصبر يا بني فإني لأموت أكثر من مرة . استمع ولكن حكماً .

— تكلمني اذن .

— هؤلاء الذين يتكلمون في أصالك ونسبك ، لو أنهم عرفوا من هو أبوك

الذات رقابهم ، وخرست السننهم . فاني إن كنت قد زللت فاني لم أزل طوع ازانتي
ولكن تلبية لقواسر لم استطع أن ادفعها عن شرقي وعثماني .

- إن جدك لأملك هو وزير ذلك العهد الذي تمت فيه بلادكم
بالموكية وفي ظلالها دوخت الممالك وخطبت ودها الدول . وكان يهتكك الصغير
على عرش آبائه يزين له الشيباب بما يزين ، وكان له أبي في منزلة الناصح
المرشد الأمين .

- نعم ولذلك طرد من ملكه وقامت على أثره الجمهورية . اليس كذلك ؟
- لأعرف يا بني من هذا شيئاً . بل الذي اعرفه أن جدك كان يمت إلي
أصل عربي قديم ونحن من بيت عقيل المعروف بملك سميتك باسم قبيلتك التي
انتمى إليها ، لعلك تظن إذا مت قبل أن افصح لك السر إلى هناك من
بيت شريف .

- ثم ماذا ! ! !
- ثم أخذت حوادث الزمان تترى . وكنت في صباى على جانب من
الجمال الفاتن فرالت ، وكنت أنت عمرة زلتى .
- لقد صدقوا اذن فيما قالوا . ولكنى من هو أبى ؟
- أبوك

- نعم أبى !!
- ان أباك هو الذى إذا وجد في هذه البلاد لما كانت جمهوريتهم المتصدعة .
- افصحى عن قولك .

- لقد قامت الجمهورية عشية هرب أبوك وترك هذه البلاد .

اذن فاني

- الملك الطريد . كان قد أخذ بيت جدك مباءة له في الليل والنهار . فعلقنى
وعلقته ، ثم تصورت انى سأصبح ملكة البلاد اذا ما أصبحت له زوجا . ولقد

جری بیننا دافع الهیام بما لم أستطع دفعه ، وزین لی الشباب ما یزین لامثالی .
 فانت ابن الملك ، یجری فی عروقك دم الملوك .
 - دم الملوك یجری فی عروقی . ولكن دم الشرائع یریقه الملوك ، فیجری
 ونحیصاً ، لا یمتدشرف الساقطات ولا لیحمی حقوق الامم ؟
 - مه یابنی . ان ساعة الرحیل قد آذنت فان قواى قد أخذت تضمجل
 وانفاسی تتردد ثقیلة واهیه - اقرب منی - قیلة واحدة قبل الفراق .
 وظل عقیل ینظر الی أمه نظرات زائغة حیرى وهو جامد فی مكانه لا یتحرك .
 وظلت یداً أمه ممتدتان الیه برهة ، ثم سقطتا ؛ وخیم علیها الموت بسكونه
 الرهیب .

- ٦ -

أمام الجثة الهامدة ركم عقیل یمسح لأمه عن ذنبها ویذكر أباه التائه
 الطرید . ولقد دارت بذهنه أنه ملكی یدافع عن الملكية ، وأنه فی بلاد یكاد
 یحطمها النظام الجمهوری ، وعاد الی ذهنه أن دم الملوك یجری فی عروقه ! ! ! !
 ودفع الباب تارکاً وراءه تلك الذکریات والآلام ؛ فانبسطت أمامه الارض
 واسعة مبهودة . إلی الملكية یمیر ؛ أم الی رحاب الارض یضرب فیها کما ضرب
 أبوه من قبل ؟ نعم . الی الرحاب الواسعة . الی الرحاب المتراخمة الاطراف ؛
 وزم علی جسمه فضل ردائه ، ثم أخذ یضرب فی الرحاب

هبات الالهة

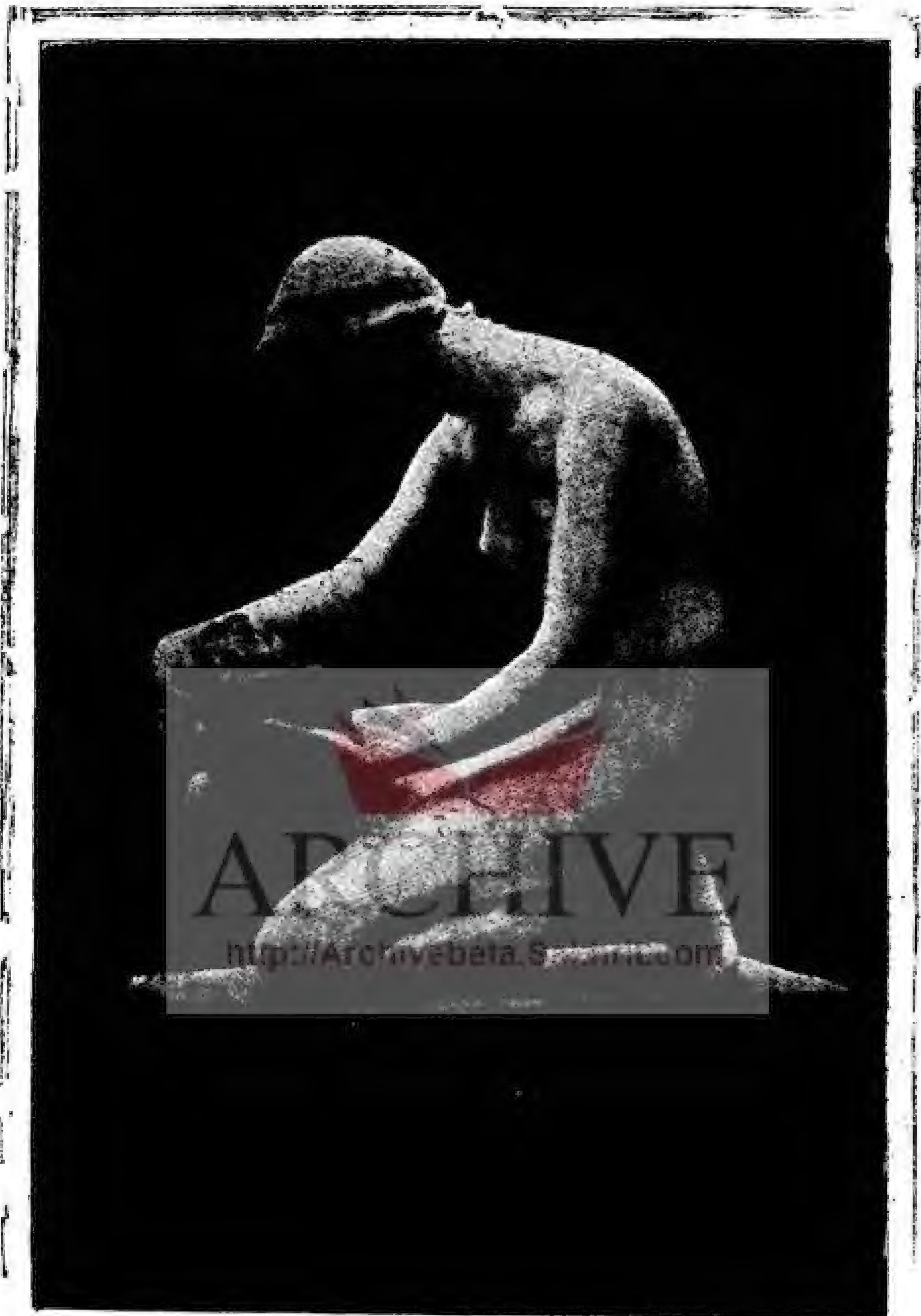
من أساطير روما واليونان

في الازمان القديمة ، قبل أن يقع الانسان على كثير من الحقائق التي يعرفها اليوم ؛ كان الاعتقاد ان الرجل قد عاش على مدى أزمان طويلة من غير أنيس في الارض ؛ فلم يكن له زوجة ولا أخت . واعتاد الرجال بعض الاحيان ، اذا ما قامت بينهم المشاحنات أو جرى بينهم الشيطان بما يجري به على أمثالهم الحقى الخرقاء ؛ أو أصابتهم الآلام ونزلت بهم المصائب ، ان يخترعوا من اوهامهم أقاصيص يدعون فيها ان المرأة لم تهبط على الحضيض الا لتنزل بهم الكوارث في الارض التي يمرونها .

على أن بعض هذه الاقاصيص تذكرنا بامنا الاولى ؛ والقصة التي سوف تتلوها تتعاقق بامرأة جميلة مثل حواء ، قد جلبت الشقاء لزوجها ، بجانب ما أنزلت بقلبه من المسرات

غير ان السبب في هذا لا يرجع الى أغلاطها وحدها ، لان جوبتير قد أرسلها الى الارض لتفعل ما فعلت ، وكان غرضه الأول هو أن تنزل بالارض المصائب والآلام دون غيرها . اما هي فانها بجانب ما انزلت باهل الارض من مصائب ، قد حبستها بهبات ثمينة

كان جوبتير حائقاً على سكان الارض . وكان أحد الآلهة قد أخذته للشفقة عليهم لشدة ما يعانون من جهد ومتاعب ، فسرق لهم النار المقدسة من السماء وأهبطها الى أهل الارض ؛ فغضب لذلك جوبتير غضباً شديداً وأخذ الحقد واكلت صدره الغيرة ، فصمم على أن يهبهم هبة اخرى ، تظهر من جهة انها أكثر عائدة عليهم بالخير من الاولى ، ولكنها في الوقت ذاته تقمة وغضب شديد



بانديورا

ومن أجل ان يصل الى غرضه هذا دعى اليه « فولكان » وامره بان يجعل من الطين كهيئة امرأة تشابه في جمالها واعتدال قوامها وسحرها وفتنتها الآلهات التي تسكن عرش الأولمب الاعلى . وكان « فولكان » فنان الآلهة وآله الفن ؛ فصاغ من الطين هيئة فتاة برزت في جمالها التمثال الذي صنعه

« بجماليون » ونفشت فيه « فينوس » - آلهة الجمال - الحياة . وكذلك لم يقف بقية الآلهة والآلهات محايدين ازاء ما كان يعمل جوبتير . فقد اشترك كلهم في العمل ، منمقين في هيئة الفتاة ، فاضافوا من جاهلهم الى جاهلها ومن حسن ذوقهم الى صورتها فخرجت من يدهم صورة رائعة من الفن الالهي . وأخيراً نفخ فيها جوبتير من روحه فكانت امرأة ملئت حياة وقوة ، مطيعة لاوامر آلهها وخالقها جوبتير ، ووقفت بين يديه تتلقى اوامره القدسية .

غير ان « فولكان » ولو أنه كان يفخر بجمال ما أخرج فنه من صورته لم يكتف بذلك . فانه كان من أمهر صياغ المعادن - وكان له كور عجيب ، يستطيع به أن يصيغ من صواعق جوبتير التي يرسلها الى الارض ، أوفن أشياء أصغر منها حجماً ، قطعاً فنية رائعة الجمال . وعهد الى الفتاة بحليها بحلية لم يتوج بمثلها بشر من قبل .

ونفذ فكرته . فوضع على رأسها تاجاً ذهبياً صنع بمهارة ظهرت من هذا الصور التي نرى بها كأنها من الاحياء التي تتحرك وتكاد تبادرك بالكلام . ولما تحقق جوبيتر أن مثل هذه الهدية لا يمكن أن ترفض أمر أن تدعى للفتاة « باندورا » pandora وأن تنقل كما هي الى قصر « ايميثيوس »

ولم يكف جوبتير يصدر أوامره حتى نقلها « مير كيرى » - عطاردة - مسارعاً بها الى حيث صدرت ارادة الآله الاكبر ، ولا مريّة في أن اغتباط « رايميثيوس » بها كان أضعاف اغتباط الآلهة الذين اهبطوها اليه في مأواه الأرضي . وكانت النذر قد اندرت « ايميثيوس » انه لا يقبل من هدية ترسلها اليه السماء ، لئلا تخر معها على أهل الارض المصائب والآلام . ولما تذكر ما هبطت به عليه النذر . ولكنه فضل أن يعالج مصائب الارض وآلامها على أن يرفض « باندورا » رسول السعادة والسلام .

وعاشا معاً في رغد من العيش وخفض من الحياة ، في قصرهما المنيف القائم

تحت سماء بلاد الاغريق القديمة ، حتى لقد خيل الى « ايميشيوس » أن ما
 تنبأت به النذر من الويلات لا يمكن أن يهبط على أهل الارض مرة ثانية .
 وكنتم منه هذه الفكرة حتى انه كان يضحك مستهزئاً كلما أعيد عليه ذكرى
 ما أنذر به . غير أن الآلهة لا تنسى واجباتها ، ولا تنصرف عن اغراضها . فان
 جوبيتر أرسل الى قصر « باندورا » بهدية أخرى ، هي عبارة عن « علبة »
 عمينة حسنة الصنعة ، ونقش عليها تحذيراً ملخصه النهي عن فتحها قبل أن
 تأمر بذلك الآلهة .

ولعبت نشوة الحيرة برأس « باندورا » فرغبت في أن تفتح العلبة لترى ما
 فيها ، ولكنها حاولت مرات عديدة أن تنصرف عن غيها ، وان تطيع أوامر الآلهة
 وكانت تحب زوجها حباً جماً ، وكانت على استعداد لان تضحي كل
 دنياها على أن تكون سبباً في ايدائه . على أن ارادة جوبيتر كانت أقوى من
 إرادتها ، فلعبت في رأسها يوماً نزوة الاستطلاع واستقوت على إرادتها ، وفي
 لحظة من لحظات النعس فتحت غطاء العلبة .

ما اتملك يا باندورا؟ وما أشد المكن ! فانها لم تكلم تفعل هذا حتى ملئ
 الفضاء امامها بأشباح غريبة ، وكانت تعرف كثيراً منها معرفة صحيحة ، فحامت
 تحمل في ايديها الأوبئة والأمراض والكوارث على أنواعها . ولقد علمت
 « باندورا » رعباً وخوفاً ، وأغلقت العلبة مرة ثانية بأسرع ما استطاعت ولكن
 كل ما كانت تحويه قد فر إلى فضاء الأرض الأوسع ، ماعدى « روح الأمل »
 فانه ظل محبوساً في العلبة ، وكان جوبيتر قد شاء أن يظل محبوساً حيث كان .

وحق اليوم نجد أن الأمل كما قال الشعراء — « هو الصفة الابدية التي
 تشب في صدر الانسان » . فاخذ الانسان يجاهد في اخضاع المصائب والآلام
 لإرادته بما تدرع به من شجاعة وصبر ، يحيينها الأمل في صدره . ذلك الأمل
 الذي لم يفر من علبة « باندورا » التي اهنطتها عليها الآلهة ، والذي احتفظت
 به سلوى لزوجها وللانسانية .

اصلاح الازهر

مذكرة الاستاذ الاكبر الشيخ المرافى شيخ الجامع الازهر

أوجب الدين الاسلامى على أهله أن تختص طائفة منهم بحمله وتبليغه الى الناس (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وأوجب الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى السبيل الموصلة اليه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعى إلى نشر الدين واقناع العباد بصحته وعلى وجوب حمايته من نزعات الأحاد وشبه المضلين .

وفى الكتاب الكريم آيات كثيرة تحث على النظر فى الكون وعلى فهم ما فيه من جمال ودقة صنع ، وقد لفت النظر إلى ما فى العالم الشمسى من جمال باهر وصنع محكم ، ولفت النظر إلى ما فى الحيوانات من غرائز تدفعها إلى الصنع الدقيق والاعمال التى لها غايات محدودة ، وأشار إلى سبيل الاولين . وحث القرآن على العلم وفاضل بين العلماء والجهال وأعمال السلف الصالح ، وسير العلماء لاتدع شبهة فى أن الدين الاسلامى يطلب من أهله السعى إلى معرفة كل شىء فى الحياة . وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله نخافوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات فى جميع فروع العلم ، ودرسوا أصول المذاهب فى العالم ودرسوا الديانات ودرسوا الفلاسفة على ما كان معروفًا فى زمانهم ، وكتبوا المقالات فى الرد على الفرق ، وكانت للعقل عندهم حرمة وله حرية التامة فى البحث . وكان الاجتهاد غاية يسعى اليها كل مشتغل بالعلم متفرغ له .

ولكن العلماء فى القرون الاخيرة استكانوا إلى الراحة وظنوا أنه لا مطمع لهم فى

الاجتهاد فاقنلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث وجهلوا ما جد في الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء فاعرض الناس عنهم وتقموا بهم على الناس فلم يؤدوا الواجب الديني الذي خصصوا أنفسهم له وأصبح الاسلام بلا جملة وبلا دعاة بالمعنى الذي يتطلبه الدين .

في الدين الاسلامي عبادات وعقائد وأخلاق وفقه في نظام الاسرة وفقه في المعاملات ، مثل البيع والرهن وفقه في الجنايات وقد عرض الدين الاسلامي لغيره من الأديان وعرض لعنائد لم تكن لاهل الأديان ، وأشار إلى بعض الأمور الكونية في النظام الشمسي والنبات والحيوان من جهاد ونبات وحيوان .

وقد هوجم الاسلام أكثر من غيره من الديانات السابقة : هوجم من أتباع الأديان السابقة ، وهوجم من ناحية العلم ، وهوجم من أهل القانون .

لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جدا تتطلب معلومات كثيرة . تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها ، ومعرفة مآل الأديان السابقة ومعرفة ما يجد في الحياة من معارف وآراء ، ومعرفة طرق البحث النظري وطرق الإثبات وتتطلب فهم الاسلام نفسه من يتابعه الأولى فهم صحيحاً ، وتتطلب معرفة اللغة وفهمها وآدابها وتتطلب معرفة التاريخ العام وتاريخ الأديان والمذاهب وتاريخ التشريع وأطواره وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع .

والأمة المصرية أمة دينها الاسلام فيجب عليها وهي تجاهر بذلك أن ترقى تعليمه ليرقى حملته ويكونوا حفاظا ومرشدين يدعون الناس اليه

ولا يوجد دواء أنجح من الدين لإصلاح أخلاق الجماهير من العامة تلتقى أحكام الدين والأخلاق الدينية بسهولة لا يحتاج إلى أكثر من واعظ هاد حسن الأسلوب يجذب إلى

الفضيلة بعمله ويحسن بصره في تصريف القول في موضعه ولذلك كان الدعاة الى الفضيلة قديما وحيثما يجؤون الى الاديان يتخذونها وسائل للاصلاح ، بل أن كل دعاة المذاهب السياسية وحلة السيوف لم يجدوا بداً من الرجوع الى الاديان وصبغ دعواتهم بها ، كل ذلك لان حياة المجتمعات لا تدين لنوع من أنواع الاصلاح الا اذا صبغ بصبغة دينية يكون قوامها الايمان .

والامة المصرية ، بل والامم الشرقية جمعاء ، تدهورت أخلاقها فضعفت لديها ملكات الصدق والوفاء بالوعد والشجاعة والصبر والاقدام والحزم وضبط النفس عن الشهوات ، وضعفت الروابط بين الجماعات فلم يعد الفرد يشعر بالآم الآخرين ومصائبهم . وقد أثرت الحياة الفردية في حياة الجماعة أثرها الضار فاحتطت منزلة الامم ورضيت من المكانة باصغر المنازل .

وقد أرى ان الامة المصرية **وهي تريد النهوض والمجد وتطلع الى حياة سياسية راقية يجب عليها أن تتذكر دينها وتلتفت الى حملة ذلك الدين فتصلح وترقى تعليمهم وتضعهم في المسكنة اللائقة بالمرشدين ، والتي يجب أن يكون عليها حملة الدين .** اما اهل هذه الناحية والسعي الى ترقية النواحي الاخرى من حياة الأمة فلا أرى أنه يوصل الى الغرض المقصود فالخلق هو العمود الفقري للامم لا يمكنها أن تنهض بغيره وأسهل طريق لتكوينه هو طريق الدين اذا صلح تعليمه وهذب دعائه

ولقد كان الازهر مصدر أشعة نور العلوم الدينية والعربية وغيرها الى البلاد الاسلامية وقد أصابه ما أصاب غيره في الشرق من خمول وضعة فيجب على الامة المصرية وهي تحمل راية الامم الاسلامية أن تنقي هذا المصباح (الازهر) من الاكدار وأن توجد له جهازاً قوياً يستمد نوره منه على طريقة تتناسب مع ما يجد في العالم من أطوار في العلم وفي التفكير وفي الحوار والتخاطب وفي طرق الاستدلال والبحث ، والدولة تنفق على الازهر قدراً عظيماً من المال لا تستطيع أن تمنعه عنه

ولا تستطيع أيضاً أن تأخذ الأزهر وما يتبعه من معاهد لتوجد بدلها معاهد أخرى .
فالحاجة إلى إصلاح الأزهر واضحة لا تحتمل نزاعاً ولا جدلاً .

وإنى أقدر مع الأسف أن كل المجهودات التي بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر في إصلاح التعليم وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه . وقد صار من الحتم لحماية الدين لا لحماية الأزهر أن يغير التعليم في المعاهد وأن تكون الخطوة إلى هذه جريئة يقصد بها وجه الله تعالى فلا يبالي بما تحدثه من ضجة وصرخ فقد قرنت كل الاصطلاحات العظيمة في العالم بمثل هذه الضجة .

يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقهها وأدبها من المعاني وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وأن يبتعد في تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل مالا يتفق وقواعد اللغة العربية .

يجب أن تهذب العقائد والعبادات وتنقى مما جدد فيها وابتدع وتهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق والعقل وقواعد الإسلام الصحيحة .

يجب أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عنها في الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والامكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء .

يجب أن تدرس الأديان ليقابل ما فيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود في الدين الإسلامي ليظهر للناس يسره وقدره وامتيازته عن غيره في مواطن الاختلاف ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفرقها وأسباب التفرق وتاريخ الفرق الإسلامية على الخصوص وأسباب خلافها

يجب أن تدرس أصول المذاهب في العالم قديمها وحديثها وكل المسائل العلمية في النظام الشمسي والمواليد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القرآن في الآيات التي أشارت الى ذلك .

يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الاسلاف وأن يضاف الى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث في بحث اللغات وآدابها .
يجب أن توجد كتب قيمة في جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة (في عصور الاسلام الزاهرة) والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين وكل ما هو قطعي فيه محافظة تامة وأن تهذب الاساليب وويهدب كل ما حدث بالاجتهاد بحيث لا يبقى منه الا ما هو صحيح من جهة الدليل كل ما هو موافق لمصلحة العباد .

يجب أن يفعل هذا لاعداد رجال الدين لان رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عامة ودينه عام . ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة والامكنة المختلفة وان لم يفعل هذا فانه يكون عرضة للنفور منه والابتعاد عنه كما فعلت بعض الامم الاسلامية وكما حصل في الامة المصرية نفسها اذ تركت الفقه الاسلامي لانها وجدته ، يحالته التي أوصله اليها العلماء غير ملائم؛ ولو أن الامة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة وراعى الضروريات والخرج لما تركته الى غيره لانه يرتكن الى الدين الذي هو عزيز عليها

ولست أنسى أن هذه الدراسة التي اسلفت بيانها دراسة شاقة تحتاج الى مجهود عظيم وتحتاج الى رجال والى مال يكافأ به العاملون ، ولكن سمو المطلب يحملنا على تذليل كل عقبة تقف في طريقه وتوجب علينا السخاء والبذل لانتا نريد اصلاح أعز شيء على نفوس الجماهير ونريد بهذا الاصلاح تقويم هذه الامة ونهوضها .

وليس من السهل أن يكلف شخص وحده بهذه الدراسة على اختلاف أنواعها بل من الواجب أن يفكر في طريقة التقسيم وجعل الدراسة أقساماً وأنواعاً متميزة. وبعد هذا أستطيع أن أضع أساساً اجمالياً للنظام الذي أبغى أن يكون عليه الأزهر والمعاهد الدينية .

١ - يجب أن يقسم التعليم الديني إلى قسمين : قسم يحدد عدد تلاميذه وترتب درجات التعليم فيه وتبين لهم حقوقهم والواجبات التي تتراد منهم والأعمال التي تسند إليهم من أعمال الدولة ، وهذا هو القسم الذي سيكون موضع العناية ويمكن الرجاء والامل : وقسم لا يحدد عدده ولا ترتب درجات التعليم فيه ولا يكون له شيء من الحقوق في أعمال الدولة ، وإنما الغاية من وجوده هي سد حاجة من يريد التفقه في دينه ومعرفة اللغة العربية ليخرج من الجهالة إلى نور العلم ويقنع بالعلم نفسه . وتوضع لهذا القسم نظم لا يقصد منها أكثر من مراقبة الاخلاق ومن تعليم أفرادها تعليماً صحيحاً بعيداً عن العقائد الفاسدة . ووصلاً إلى روح الدين . ووصلاً إلى خلق قويم والقسم الأول يجعل درجات التعليم فيه ثلاثاً فيكون ثلاثة أقسام

١ - القسم الأول مدته خمس سنوات

٢ - » الثانوى » » »

٣ - » العالى » » »

والتعليم في الاثنين الأول والثانوى يكون عاماً على مثال التعليم في المدارس الأميرية ويعلم فيهما كل ما يعلم في المدارس الأميرية ما عدا اللغات ، وتعلم فيهما علوم الأزهر الأصلية بالتدريج المؤهل لدخول الأقسام العالية تعليماً لا يكون قوامه حفظ الدروس وإنما يكون قوامه فهم العلم والمران على البحث والتدليل وتربية الملاكات . وقد يلاحظ أن المدة لا تحمل علوم الأزهر وتعليم ما يدرس في المدارس الأميرية ، ولكن هذه الملاحظة تنزل إذا لوحظ أن الطالب في المعاهد يؤخذ في سن عالية عن سن التلميذ في المدارس الأميرية ، ويغلب أن يكون

ألم بكثير من المعلومات في المدارس الأولية، وأن يكون حافظاً للقرآن فاستعداده
وسنه يسمحان بأن يحتمل هذا المقدار الذي يراد أن يعلمه . على أن الشروط التي
توضع لقبول التلاميذ في القسم الأولى كفيلة بإبعاد من لا يقوى على احتمال هذه
الدراسة ويقسم التعليم العالي إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم اللغة العربية

٢- قسم الفقه

٣- قسم الارشاد والدعوة

ويجب أن يلاحظ أني حيث اعرض لهذه الاقسام وحيث أبين ما يدرس
فيها فاني أضع رسماً اجمالياً قابلاً للتهذيب وأترك تفصيله إلى أن يحين وقت
التفصيل فتؤلف له لجان فنية

أما القسم الأول فتدرس فيه علوم اللغة من نحو وصرف ووضع وعلوم البلاغة
وأدب اللغة العربية وتاريخ الآداب وعلم النفس والتربية، ويعلم التلاميذ فيه
بعض اللغات التي لها اتصال وثيق باللغة العربية، ويدرس فيه الكتاب والسنة
من حيث اتصال اللغة العربية بهما ومن حيث اتصالهما بآدابها

وأما القسم الثاني فيدرس فيه الكتاب والسنة دراسة مفصلة، وبخاصة
من ناحية الاحكام الفقهية . ويدرس أصول الفقه وتقارن المذاهب الاسلامية
بعضها ببعض مع عرض الأدلة، ومع التعرض للترجيح من جهة الدليل
والعرف والعادة ومن جهة المصالح العامة وتقارن المذاهب الاسلامية بالقواعد العامة
في أصول القوانين ويدرس تاريخ التشريع الاسلامي وما يلزم للقاضي والمحامي من
نظم القضاء والادارة وقوانين المرافعات .

وأما القسم الثالث فيدرس فيه المنطق والتوحيد الاسلامي والاخلاق
والفلسفة قديمها وحديثها وتاريخ الاديان والمذاهب مع مقارنتها بالدين الاسلامي
ويدرس أدب اللغة والقرآن والسنة وبخاصة من ناحية طرق الهداية والارشاد .

بعد ذلك انتقل الى الغاية من هذا التعليم النظامي وسأجد نفسي مضطراً
الى شيء من الاطالة في القول : —

عند ما فكرت الحكومة المصرية في انشاء مدرسة دارالعلوم لتخريج أساتذة
اللغة العربية في المدارس الاميرية كان العلماء في الازهر لا يعنون الا بدراسة
القواعد وفلسفتها دراسة نظرية بعيدة عن التطبيق ، وبدراسة الالفاظ وخدمة
عبارات المؤلفين ولا يعنون بالغاية من اللغة ولا بخدمة اللغة نفسها !! يشهد بذلك
أن أسلوب الكتب المؤلفة في تلك الايام بعيد كل البعد عن اللغة ، ويشهد
بذلك أن بعض كبار العلماء ممن شاهدناهم لم يكونوا يحسنون التعبير عن أغراضهم
ولا يزال منهم بقية الى اليوم . وكان العلماء أيضاً لا يدرسون شيئاً من العلوم العامة
كالتاريخ والحساب والهندسة وتقويم البلدان . وكانوا يحافظون على ما هم عليه أشد
المحافظة ولا يرون الخير الا فيما هم فيه ، فلم تكن معلوماتهم العامة ولا طرائق تعليمهم
مؤهلة لتوليهم تعليم النشء في المدارس الاميرية على النحو الحديث .

وعند ما فكرت الحكومة في إنشاء مدرسة القضاء الشرعي كان الازهر على
النحو الذي وصفته وكان فيه علماء يحرمون تقويم البلدان والتاريخ والحساب ،
ويكتبون مقالات في الجرائد ضد هذه العلوم وكان ولاية الامور يشكون من أن
القضاة لا يعرفون الارقام ولا يعرفون طرق التوثيق ولا يعرفون من العلوم العامة
ما يجب ان يعرفه شخص يتولى الحكم بين الناس . وقد بدل الله هذه الاحوال
وأصبح قانون الازهر مشتملاً على ضعف العلوم التي كانت تدرس من قبل ، وأصبح
يدرس فيه التاريخ الطبيعي وتدرس فيه الطبيعة والكيمياء ويدرس فيه الجبر
والهندسة ، وقبل الازهر في قسم تخصص القضاء الشرعي تدروسا في وظائف
الأعضاء ودروسا في التشريع . قبل الازهر يؤن كل جديد وأعدوا أنفسهم له
وزالت كل العقليات التي كانت قبل ولم يبق الا اصلاح طرق التعليم وبإيجاد المعلمين
على كفاه وتوزيع العلوم على الاقسام توزيعاً صحيحاً . ولذا كانت هناك بقية

تعرض الجديد فلم يبق لها من الشأن ما تستطيع معه أن تكون عقبة في طريق الإصلاح .

في الدولة الآن مدارس متعددة لنوع واحد من التعليم . فيها دار العلوم لتعليم اللغة ، وفيها الازهر وكل المعاهد لعلوم اللغة ، وفيها القضاء الشرعي للفقهاء ونظم القضاء ، وفيها الازهر للفقهاء ونظم القضاء . وفيها تجهيزية دار العلوم وفي الازهر اقسام مماثلها .

تنفق الدولة على هذه المدارس جميعها ومن الممكن أن تقتصد في هذه النفقات ومن الممكن أن تضم هذه النفقات بعضها الى بعض وتوحد جهودها لتخرج امثلة أحسن من هذه الامثلة .

في الدولة أشكال مختلفة من العناء تخرجوا في مدارس مختلفة يحسد بعضهم بعضا وينقم بعضهم على بعض ، ولهذا أثره في افساد الاخلاق

لم لا يحملنا هذا كله على التفكير في توحيد الجهود وتوحيد النفقات ونجعل قسم اللغة العربية لجميع مدارس الدولة والازهر . ونخصص فرقة من قسم الفقهاء لتحل محل مدرسة القضاء لتكون ينبوعا للقضاء والمحامين والمفتين وتلغى تجهيزية دار العلوم والقضاء ؟

أول ما يعترضنا في هذا ان مدرسة دار العلوم أنشئت للحاجة اليها وقد حققت لآمال فيها . فلخرجت للدارسة علماء أحيوا اللغة العربية وادابها بعد أن كادت تدرس وكأنها من أهم الأسباب لنشر تلك اللغة وتحبيبها الى الناس بينما الازهر ضعف التعليم فيه وأصبح محلا لشكوى الامة وشكوى أهله أنفسهم ، وليس من الحكمة بناء على الآمال في الازهر ان نميت مدرسة محققة الفائدتين كذلك الحال في مدرسة القضاء .

ولكننا على الرغم من قوة هذه الحجة يمكننا التغلب عليها بمراعاة ما يأتي :
قد كان الازهر منفصلا عن الحكومة في الماضي انفصالا تاما فلم يكن له بها علاقة الا بمبلغ يسير من الرزنامة كان حقا له عليها ولم يكن للحكومة اشتراك عليه

وقد تبدل الحال فصارت ميزانية الازهر الضخمة أكثرها من وزارة المالية وبعضها من وزارة الاوقاف ، وصار لرئيس الدولة حق الاشراف عليه وصار مسئولا عنه أمام البرلمان ، وأصبح من اليسير على الامة والحكومة أن تعرفا قيم تنفق الاموال وبأى شيء تشتغل المعاهد وعلى أى نحو تسير .

ثم اندماج دار العلوم والقضاء سيفضى حتما الى ادخال أساتذة المدرستين فى الازهر والى وجود الصلة التامة بينهم وبين العلماء فهذه السلة التى من شأنها أن توجد تماس الافكار ستنتج نتائجها الحسنة فى احسان الدراسة وستكون هناك عناصر قوية من رجال التعليم فى مجالس الادارة والمجلس الاعلى ، وفى التفتيش على المعاهد . وعلى الجملة ستوجد كل الضمانات التى تطمئن النفوس الى أن المعاهد لا ترجع القهقرى .

هذا الذى قلته مضافا إلى توحيد التعليم وتوحيد النفقات وتجانس العلماء فى الدولة من شأنه أن يجهلنا على المضى فى هذا الطريق .
وتختص مدرسة القضاء على نظامها الجديد بكلمة لا بد لى من التصريح بها :
است أرجو للقضاء الشرعى خيرا من هذه المدرسة على نظامها الجديد وقد كان نظامها منذ انشئت الى سنة ١٩٢٣ خيرا من هذا النظام الجديد .

ذلك لنا حتى اليوم . ليس لنا مراجع فى القضاء إلا تلك الكتب المؤلفة فى القرون الماضية وهى كتب معقدة لها طريقة خاصة فى التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية . وانما يفهمها من مارسها ومرت على فهمها وعرف اصطلاح مؤلفيها . وأيضا فان العلوم الشرعية التى يحتاج اليها القاضى مشتبكة يستمد بعضها من بعض ، والاغنى للفقهاء عن تعرف علوم كثيرة ترتبط بالفتنة . ونظام المدرسة الجديد قطع الصلة أو أضعفها بين تلاميذ مدرسة القضاء وبين الكتب القديمة . فالتلاميذ الذين يتخرجون فى التجهيزية وينقلون الى مدرسة القضاء ليس لهم من المؤهلات ما يعدم لفهم تلك الكتب رالى هضم تلك المعلومات التى وضعت لهم فى البرنامج .

واست أدافع الآن عن الكتب القديمة (بل وأرجو الله أن يمكننا من الاستغناء عنها باحسن منها) وإنما ادافع عن الموجود الذي قضت الضرورة بوجوده فنحن في حاجة الى رسل بين القديم والحديث ، واولئك الرسل يجب أن نعلمهم القديم والحديث ليخرجوا للناس حديثاً جيداً فلا بد لنا من علماء فيهم من القوة ما يستطيعون بها فهم تلك الكتب القديمة ومعرفة تلك الطرائق القديمة، وفيهم من القوة ما يستطيعون معه تصوير ذلك في أسلوب حديث . ولذلك فإنه يجب أن يراعى في النظام الجديد للازهر عدم اهمال طريقة الأصلية في البحث وفهم الكتب .

أما المدرسة — على نظامها — منذ انشئت إلى سنة ١٩٢٣ فإنها تستحق الثناء ولا أجد ما أعيبها به . ولكن أستطيع القول بأن تعهد الأزهر والمعاهد بالرقابة وحسن الإدارة يخرج للامة مثل علماء تلك المدرسة أو أحسن منهم . وقد أشير في تقرير لجنة إصلاح الأزهر سنة ١٩٢٣ الى شيء من المقارنة بين القضاة خريجي الأزهر والقضاة خريجي المدرسة ، ويحسن الرجوع اليه لأنه يفيد فيما نحن بصددده .

وخلاصة ما أسلفته أن تندمج تجهيزية دار العلوم والقضاء ومدرسة دار العلوم في المعاهد ، على أن توضع قواعد وقتية لهذه المدارس بالنسبة لتلاميذها لموجودين فيها الآن .

أما امتيازاتهم فهي كما يأتي : —

علماء اللغة العربية يكونون أساتذة في الأزهر والمعاهد الدينية وفي جميع مدارس الحكومة ومجالس المديرية .

علماء الفقه يكونون أساتذة العلوم الشرعية في الأزهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة ، وعلماء فرقة القضاة يكونون قضاة ومحامين ومفتين وأساتذة أيضاً .

وعلماء الارشاد والدعوة يكونون أساتذة في الازهر والمعاهد ويكونون خطباء وأئمة ووعاظا ومرشدين.

أما شهادة القسم الاولى فليس لها شيء من الحقوق إلا تأهيل صاحبها لدخول القسم الثانوي وأما شهادة القسم الثانوي فتؤهل صاحبها للاقسام العالية وتؤهله لوظائف الكتابة في المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية .

وقد ينظر بعد في علاقة هذا القسم وبعض الاقسام العالية بالجامعة المصرية اذا اراد واحد من حاملي شهادتها دخول الجامعة المصرية في بعض اقسامها :

وقد يصح أن يقال : لنضع دار العلوم ومدرسة القضاء بمضيان في طريقهما وانصالح الازهر على هذا النحو الذي أشير اليه وليس هناك ضرر في وجود مدارس متعددة صالحة غير أن ما أشرت اليه بالنسبة لمدرسة القضاء يحملنا على عدم السكوت على نظامها الحاضر وما أشرت اليه بالنسبة الى الغاية العظيمة التي ننشدها من توحيد التعليم وتجانس العلماء ، ومن الفائدة التي تعود على المعاهد نفسها من ادخال العناصر القوية في اللغة العربية وهم علماء دار العلوم إلى الازهر يجعلنا نفضل طريق التوحيد على طريق التعدد

وهناك أمر لا يصح الاغضاء عنه . ذلك أن وجود مدارس دار العلوم والقضاء وتجهيزية دار العلوم مؤثر في الازهر والمعاهد من حيث الرغبة فيهما لان نتيجة الازهر (اذا لم يخرج قضاة ومحامين وعلماء اللغة العربية في مدارس الحكومة) تقتصر في اخراج علماء للمعاهد وخطباء للمساجد وهي نتيجة غير مرغوبة ومن شأنها أن تجعل التعليم الديني في المعاهد مقصوراً على بعض الطبقات التي ليس لها في الحياة آمال سامية وهذه الطبقات وحدها قد لا تؤمن على هذه الوديمة وديعة الخلق الديني والثقافة الاسلامية . ومن الواجب أن لا يغيب عنا ونحن

نتقدم لتهديب التعليم الدينى وتقويم أخلاق الامة أن نشجع الطبقات الراقية على الدخول فى هذه المعاهد لتقوم بما يطلب منها من العناية بالاخلاق وأمر آخر وهو أن سلب الامتيازات القديمة التى كانت للازهر من تخرج القضاة والمحامين وعلماء اللغة العربية يؤثر أمام رأى العام داخل الدولة المصرية وخارجها فى الاقطار الاخرى فى جامعة الازهر والمعاهد ، ومن واجب الدولة المصرية ان تحافظ على كرامة هذا المعهد القديم وأن ترد له مجده فانه واسطة اتصال وثيق بين الامة المصرية وغيرها من الامم . واذا أحسن استخدام هذه الواسطة عادت بفائدة أدبية ذات قيمة على الشعب المصرى .

ومتى تم تنظيم الازهر وأخذ مكاتته فستعود له ثقة الامم الاسلامية وتطلب منه علماء مرشدين خصوصاً اذا علمت فيه اللغات التى يحتاج اليها المرشد اذا ذهب الى بلد من البلاد الاسلامية .

هذا هو محل رأى فى اصلاح المعاهد والتعليم الدينى قد أقدمه خالياً من التفاصيل حتى اذا ما صادف قبولاً واتفق على النقط الاساسية فيه أمكن الشروع فى تأليف اللجان الفنية التى تبحث أجزاء المشروع وأمكن بعد ذلك أن نرجع الى القوانين لاصلاحها .

وقبل أن أختم كلمتى هذه أشير الى أن من الممكن ايجاد كل الضمانات لحسن سير التعليم فانك بتأليف مجالس الادارة ومجلس الازهر على وجه تمثلى فيه وزارة المعارف تمثيلاً قوياً وبان يكون قسم التفتيش على اللغة العربية والعلوم الحديثة مشتملاً على رجال يكون لوزارة المعارف رأى فى اختيارهم ، بل ويمكن أيضاً أن يكون لوزارة المعارف مندوبون لحضور الامتحانات .

ولا بد أيضاً من أن أصرح بان الازهر لا ينبغي أن يعنى باخراج معلمين للمدارس الاولى ، وسننظر فى انهاء هذه الدراسة الخاصة بالتعليم الاولى . كما أنه لا بد لي أيضاً من الاشارة الى وجوب الغاء قانون التخصص فقد دلت

التجارب على عقم نتائجها ، ولذلك أسباب كثيرة قد يحسن عدم الافضاء لها
وأيضاً فإن النظام الذى أشرت اليه وهو نظام تقسيم الدراسة العالية سيضمن
تخريج علماء لهم تفوق فى علوم الاقسام التى يدخلونها .
وأسأل الله أن يهيئ للازهر والمعاهد طريق الفلاح والنجاح فى ظل مولانا
حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول وأن يوفق رجال دولته الى عمل الخير لهذه
الطائفة والامة المصرية جمعاء .



لمحة في النظام الكوني

عظمة الكون وعظمة الانسان

١ - كوبر نيكوس والمعتقدات القديمة

اعتقد القدماء أن الأرض في وسط النظام الكوني . ولم يقتصر اعتقادهم على أنها في وسط النظام الشمسي وحده ، بل في وسط العالم الكوني في مجموعه . واعتقدوا بجانب هذا أن النجوم المضيئة سابحة في فضاء الكرة الأرضية بل زعموا بأنها رؤوس مسامير من الذهب الوهاج سحرت بها القبة الزرقاء لتثبت في مكانها . وكان أول من زعم هذا الزعم الفيلسوف انكسيمندر اليوناني منذ ٢٥٠٠ سنة مضين . على أن قليلا من مفكرى القدماء قد شكوا في مالارض من



ش (١)

الكون كما تصوره أهل القرون الوسطى

قيمة في نظام الأشياء الكونية ، وقالوا بان النجوم عبارة عن عوالم كعوالم الارضى ،
وتمتاز عنه بـكبر الحجم وجلال القدر ، وانها تظهر صغيرة لبعدها الشاسع عنا . غير
أن العقل الانسانى احتاج الى الف من السنين ليـدرك ادراكا صحيحاً أن
الأرض ليست في وسط النظام الجرمى ، وإنما ليست كما كان يقول القدماء ،
تاج الوجود ، وإنما ثابتة ثبوتاً تاماً في وسط الكون . غير أنه لم يتح لاحد غير
نيقولا كوبر نيكوس أن يزحزح الأرض بقوة عقله عن مكانها الذى اختاره
لها انقدماء ، ووضعها في مركزها الحقيقى كسيار صغير من جملة السيارات
التي تدور حول الشمس ، بل جعلها نقطة او ذرة صغيرة ملقاة في صحراء
الكون الشاسعة اللامتناهية ، كبقية الذرات التي تتكسر اضواؤها الضعيفة على
شاطئ الانهياة .

٢٠ حياة الاجرام .

اذا اعتبرت الارض ذرة في وسط الكون ، وجب أن يعتبر الانسان ذرة فوق
الارض أما الذرة الصغيرة التي نسميها الانسان ، فعلى حقارتها قد استطاعت أن تدرك
بقوتها العاقلة حقيقة النظام وأن تغزو الانهياة بقوة الفكر . فقد عرف أن الاجرام
السماوية التي تخيل أنها باقية بقاء الازل تولد وتهرم وتموت كما تذبل الزهور الغضة
في الحقول المتسعة المترامية ، وليس من يعيرها التفاتاً أو يأبه لها . وان للنجوم مولداً
ومصرعاً ، كمولده ومصرعه .

زحل أشرف الكواكب داراً من لقاء الردى على ميعاد
وهذه الكلمة الخالدة التي قالها فيلسوفنا المعرى ، قد حققها الفلكيون
بالمشاهدة في العصور الحديثة .

غير أن عجلة الحياة الانسانية إذ تدور بسرعة فائقة على مقتضى قياس
الزمان النسبى ، فانه لا يستطيع أن يرى الاجرام تولد وتموت لطول عمرها ،
وقصر عمره . بل نقول إن الخيط الذى تحاك منه أعمار الاجرام يسير ، وذلك

بنسبة ما نرى من قياس الزمان ؛ في نول الطبيعة يبطء عظيم . وقد تمر ألوف من الاجيال قبل أن يلحق تغيير ضئيل باية بقعة من تلك البقع المضيئة التي ترصع السماء . غير اننا اذا استطعنا أن نغير مقياس الزمان تخيلاً ، وقلبنا ملايين السنين الى ثوان من مقياس زماننا الحاضر ، استطعنا ان نرى الشمس العظيمة تولد بغتة كالحشرات التي تتوالد في مدى الليل ، ثم نراها تزداد ضياءاً حالاً على حال ، ثم تأخذ في الاظلام ثم تضمحل ، ثم تموت ، كما لو كنت ترى قبساً من نار في ظلام الليل ، اشتعل ثم احترق ثم انطفأ . إن الاجرام انما تولد مثلنا ثم تموت كما نموت . أما أعمارها فملايين عديدة من السنين ؛ اذا قيست بأعمارنا كانت بضعة عشرات من السنين لا غير . أما ملايين السنين والثواني فشرع في حكم اللانهاية ، كلاهما واحد ؛ ولا تفريق بينهما في عرف الابد .

٣ - حركات الكوكبات

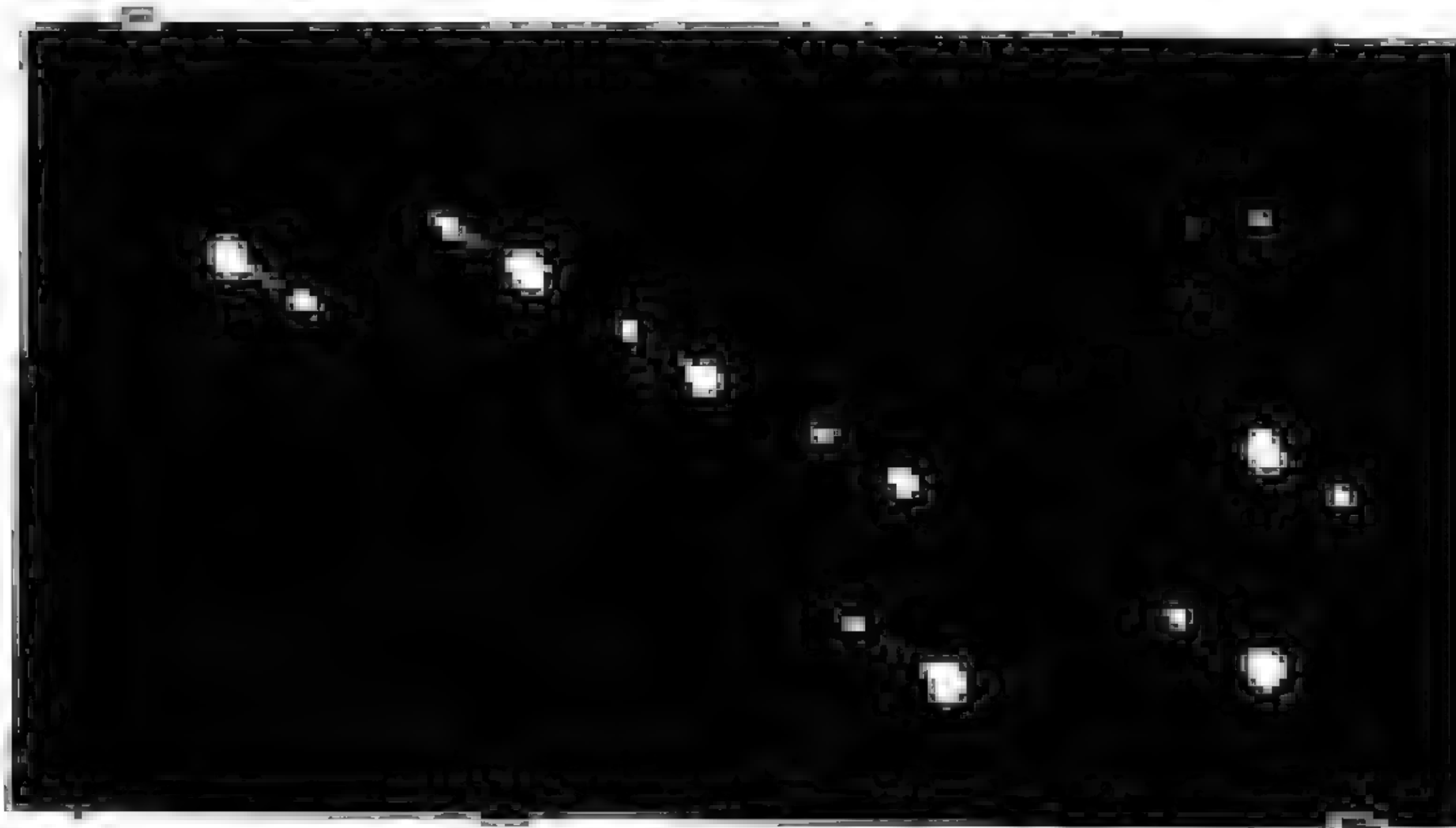
الامواج تتكسر على شاطئ الم بلا انقطاع في تواتر واطراد مرجعة ذلك الانين المتواصل على طول الأزمان . والواقع أن الناس تطلعوا بانظارهم الى الكواكب المتألقة في السماء منذ آلاف عديدة من القرون كما نفعل الآن . ولقد ضاعت الآن آثار أجدادنا الذين وقفوا فوق الارض يتطلعون بانظارهم الى السماء . فنت تلك الآثار ، فلا أغنية مشجية ؛ ولا صخور نحتت عليها آثارهم لنعرف أى احساس قام في نفوسهم وهم ينظرون من فوق الارض الى العوالم الصامتة السابحة فوق رؤسهم وعن شمائلهم وأيمانهم . مضى هؤلاء في سبيل كل شيء ؛ ولا تزال الكواكب تتألق في السماء كما كانت تتألق فوق رؤسهم ؛ بل نراها ثابتة في أماكنها التي شغلتها في زمان أجدادنا الاولين . فالذب الاكبر لا يزال في شكله الاول ، وفي نظام كواكبه كما كان منذ أزمان طويلة . والتنين Dragon لا يزال يلمشر سلسلة نجومه ، والنسر الواقع Vega لا يزال يرسل أشعته الزرقاء الجميلة الينا ؛ كما كان يرسلها اليهم . ظلت هذه الكوكبات ترسل أشعتها الصامتة فوق

رؤوس البشر منذ أن سكن الانسان الكهوف في العصر الحجري ، ومن فوق
رمسيس العظيم وجيشه الاكبر الذي وجهه الى محاربة أهل سوريا في الازمان
القديمة . وتطلع اليها كولبوس في سواد الليل وهو تائه في بحر الظلمات ينشد
أرض المعاد :

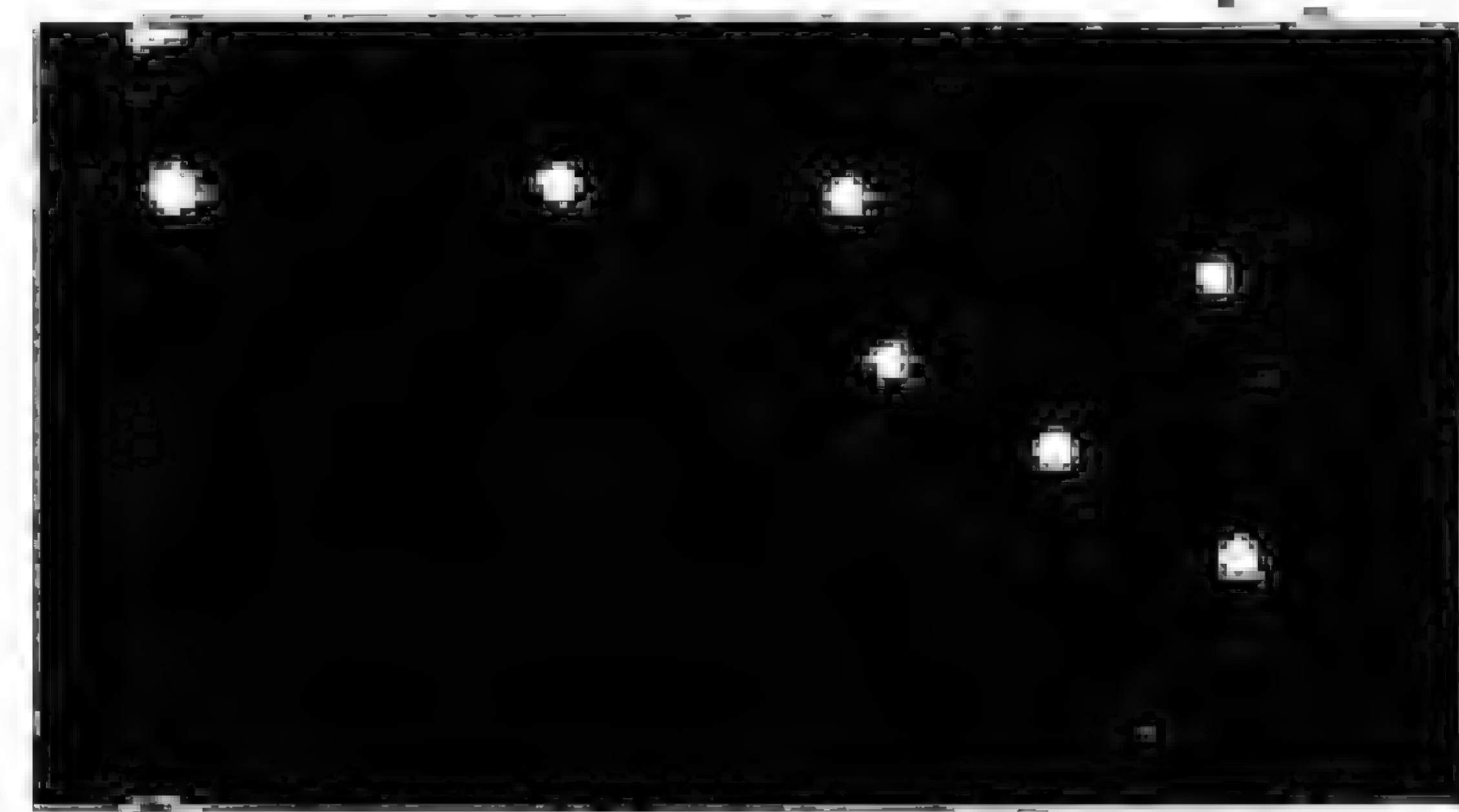
معصوب المقلة والدرب وعز وكثير الآفات
كسفين ليس لها رب تجرى في بحر الظلمات

ورآها نابليون وناجاها وهو راجع من حربه الروسية مكسوراً ، وتطلع
اليها نانسن من فوق جبال الجليد القطبية .

ومع كل هذا فالحقيقة أن هذه الكواكب تندفع كالسهم سائرة في الفضاء
بسرعة عظيمة . وأن النجوم التي تلوح لنا كأنها مجاميع — كوكبات — إنما يفصل
بين بعضها وبعض فضاء شاسع ومسافات عظيمة القدر ، وأن تجمعها الظاهر لعياننا
إنما هو مصادفة تقع لانظارنا في نهاية الرؤية البعيدة . ولقد اقنعتنا القياسات
الدقيقة بأن بعض النجوم تنهب الفضاء بسرعة عدة الآف من الاميال في الثانية
وأن نجوم بعض الكوكبات قد تبتعد أو تقترب بعضها من بعض ، وأن كوكبات
يبرمتها قد اندفعت نجومها في فضاء اللامهاية بسرعة كبيرة .



ش ٣



ش ٢



ش ٤

الدب الأكبر ش (٢) كما كان من ١٠٠٠٠ سنة
ش (٣) كما هو الآن ش (٤) كما سيكون بعد
١٠٠٠ سنة .

وهذا التغير ولو انه يقع بسرعة فائقة ، فان الكوكبات تظهر لنا الآن كما كانت .
تظهر لاسلافنا وكما لو كانت النجوم التي تكونها ثابتة من اما كونها الاصلية لا تتحرك
اذا نظرت الى قطار سريع يمر على مقربة منك ، فانك تراه يمر سريعاً حتى
يتعذر على نظرك أن يتابع حركته السريعة ، ولكنك اذا نظرت اليه من بعد كبير
خيل اليك أنه يزحف على الارض زحفاً . وكذلك الحال في الكواكب . فانها
لبعدنا الشاسع الكبير ، تلوح ، على الرغم من سرعة حركتها ، كأنها ثابتة في اما كونها
الأصلية لا تتحرك ، فنرى من الأرض وكأن كل كوكب منها يحتاج الى عشرات
الآلاف من السنين ليقطع من الفضاء مسافة لا تتجاوز عرض كرة القمر كما يرى
في تمامه من الأرض .

غير اننا اذا استطعنا أن ننزل المسافات الكونية الى بوصات ، وأن ننزل
العصور المتطاولة الى ثوان ، امكننا أن نرى الكواكب الكبيرة ترقص في الفضاء ،
كما ترقص ذات الهباء صعوداً وهبوطاً في خيط من خيوط الشمس ينفث
نافذة ما .

٤ - صغر الكرة الأرضية

اذا اردت أن تتصور صغر الكرة الأرضية ، فاعلم أن جرم الشمس يسع
٠٠٠ ر ٢٥٠ ر ١ نجم كجرم الأرض . في حين ان رحاب الكون مملوءة بشمووس
اخرى غير شمسننا هذه ، نسبتها الى الكون كنسبة الذرات الطائرة في الفضاء
الى حجرة متسعة الجنبات . وملايين من هذه الشمووس العظيمة تكون تلك
المنطقة البيضاء التي نسميها الطريق اللبنية — Milky Way . ملايين من
الشمووس ، ويحتمل أن يكون فيها ملايين الملايين من الكرات الأرضية التي
تشابه أرضنا .

واذن نقول ما احقر هذه الأرض التعيسة التي اريق من أجل بقاع دنيئة ،
منها أنهار من الدماء الزكية ، وزهقت في سبيلها ارواح مظلومة . ولو أن

الإنسان كان قد استطاع أن يترك هذه الذرة الحقيمة السابحة في فضاء اللانهاية



ش (٥)

Cygnus

جزء من الطريق اللبني في كوكبة الدجاجة

الى ذرة أخرى من ذرات الكون اذن لنقل اليها مع الحروب والخراب والدمار،
واذن لعمرها بمخافاته ودنا آتة التي خطها على صفحات تاريخه ، واذن لاصبحت
مباعدة الامراض ومكافأ للموت ومورد الكريمة .
غير أنه من حسن حظ الا كوان الصائمة العبيدة أن الإنسان لم يجد جسراً

يعبر به اللانهاية الى طرف آخر من أطراف الكون ، ولولا شعاع ينتقله الأثير في الفضاء الى الارض لما عرف الانسان أن في الكون عوالم غير عالمه ، وظل بعيداً عن الاتصال بالعوالم الأخرى ولو من طريق الفكر ، جاهداً نفسه فوق هذا السيار الذي نكب به ، والذي نسميه الارض .

٥ - بعد القمر والسيارات .

ما أقرب القمر من الأرض مقيساً بإبعاد الاجرام الأخرى ؟ انه أقرب « المحطات » الكونية من سيارتنا الارضى . اما اذا اعتبرت المسافة الواقعة بين القمر والارض باعتبار فلكي ، لما استطعت أن تقول فيها انها أكثر من « خطوة » . اما هذه الخطوة الفلكية فمقدارها ٠٠٠ ر ٢٤٠ ميل .

ثلاثون كرة من الكرات العظمى في حجم كرة الارض كافية اذا وضعن الواحدة بجانب الأخرى لان تكون جسراً نعبراً عليه الى القمر ! ! وقطار سريع يحتاج الى ستة أشهر ليقطع المسافة الى مهبط وحى الشعر . اما إشارة لاسلكية فلا تحتاج لا أكثر من ثمانية اقليل لاتصدم الجبال الصامتة التى تكسو وجه القمر . وعلى الرغم مما يفصلنا عن القمر من المسافات الطويلة ، فان القمر ، فلكياً ، يمكن أن يعد جزء من الارض فهو تابع مطيع لها ، فهو بمثابة « جزيرة » سابحة في أقرب فضاء للارض .

على أن المسافات تتسع وتزيد رويداً رويداً اذا نحن أردنا أن نزور اخوات الارض وأولاد عوالمها من الكواكب التى ندعوها السيارات التى تدور كما تدور أرضنا حول الشمس ، وتجتمع من حولها كما تجتمع الافراخ حول السجاجة الكبيرة

تهبط الشمس وتزل عن الافق ويخيم الظلام على الارض . ومع هذا ترى الزهرة Venus مضيئة براقه ، كقبس من نور المغنيسيوم يتألق في كبد السماء . والزهرة أقرب السيارات من فلك الارض في دورتها اذ تكون في بعض

الاحيان على بعد ٢٠٠٠ ر ٢٥٠٠ ميل منا . ولكن ما أسهل ما نكتب هذه
الارقام ، في حين أنه يصعب علينا أن نتصور مقدار ما نغنى بها . تصور أن
الزهرة تكون في أقرب نقطة من الشمس عندما يكون بعدها عنا بمقدار ١٠٤
مرات مقدار بعد القمر ! ! سياحة يقطعها القطار السريع في ٥٢ سنة فقط ! أما
كرة مدفع تخرق الفضاء بسرعة ١١٠٠ ياردة في ثانيتين ، فانها تحتاج الى
سنتين ونصف لتقطع هذه المسافة . اما اشارة لاسلكية فتحتاج الى دقيقتين
وثلاثة ارباع الدقيقة ؛ لان الامواج الكهربائية تنتشر بسرعة ١٨٦ ر ٠٠٠
ميل في الثانية .

على الرغم مما ترى في مكان الزهرة من بعد شاسع ، فانها أقرب السيارات من
الارض . أما الشمس فتبعد عنا أربعة أضعاف بعد الزهرة . ! ، ان الوصول
اليها يحتاج الى قطار سريع يستمر فاهباً الفضاء ١٩٠ سنة بلا توقف . أما كرة
مدفع فتحتاج الى تسع سنوات ونصف في حين أن الموجة الكهربائية تحتاج
الى تسع دقائق وثلاث دقيقتين

وكذلك تستطيع أن تقول ان الشمس في مكان من أقرب الامكنة الكونية
الى الارض . فاننا مهما طقنا في مجاهل النظام الشمسي فاننا لانزال في عشنا
الكوني . فان المشترى Jnpiter يبعد عن الارض خمسة أضعاف وخمس بعد
الارض عن الشمس . اما زحل saturn بحلقاته الجميلة وأقماره الثمانية فبعده عنا
مضاعف بعد المشترى . فان المسافة التي تفصل بين الارض وزحل عندما يكون
في أقرب نقطة الى الارض لا يقل عن ١٦٠٠ مليون ميل ! ! مسافة يقطعها قطار
سريع في ٣٣٠٠ سنة بلا توقف . اما كرة المدفع فتحتاج ١٦٠ سنة ، كما ان اشارة
اللاسلكية تحتاج الى ساعتين ونصف لتصل بين الارض والسيار أورانوس .



ش ٦

نسبة السيارات للشمس

ومع كل هذا ، فإني أذكرك أن أورانوس ، فإنك لا تكون قد اجتازت منطقة النظام الشمسي . فمن وراء هذه الحدود فضاء متسع تجري فيه المذنبات والنجوم الضالة حيث تسبح في لانهاية من الخلاء . وكذلك يتنقل بنا الخيال الى ان نصل الى السيارات نبتون ، وهو يبعد عن الشمس بمقدار ٢٧٨٨ مليون ميل . على ان أرضنا تكون قبل ان نصل الى هذه الاعماق القصية قد اختفت عن الانظار في جوف ذلك الفضاء . اما المسافة الكبيرة التي تفصلها عن الشمس فتلوح لراء من سطح نبتون كأنها بعض الخطوات القصيرة في مقياس اللانهاية ، واما جرم الأرض الذي يحمل ١٥٠٠ مليون من الذرات البشرية فيكون قد اختفى تحت ظل الاشعة القوية التي تبعثها الشمس في الفضاء المحيط بها . اما اذا أردنا الرجوع الى الأرض من سطح نبتون فانتنا نحتاج الى ٥٧٠٠ سنة نقضيها في قطار سريع ، أو الى ٢٨٥ سنة ، اذا شئنا أن نحملنا كره مدتع !! اما الامواج الكهربائية التي

تقطع محيط الكرة الأرضية سبع مرات في ثمانية وأحدة ، فمحتاج الى أربع ساعات وكسر لتنقل رسالة من الأرض الى نبتون .

اي شيء نستنتج من هذه الأرقام ؟

أنها تبهرنا وتترك عقولنا عاجزة عن الفهم . ومع كل هذا فإن هذه الأرقام على عظمتها لا تخرجنا عن غشنا الكوني ، فأنك حتى بعد ان تصل الى نبتون تكون في حيز نظامنا الشمسي !

تأمل في اللانهاية قليلا تعتمد أن الانسان حتمي . فما بالك بنزعاته السفلى ؟

٦ — الشمس المجاورة لنا

اذا بلغنا نبتون ، كنا على تخوم النظام الشمسي . اما الكون ففيه من النظمات الشمسية عدد عظيم . فاذا حللنا في جو نبتون ، فأننا نيمم شطار تلك النجوم التي كانت تظهر لنا من الأرض كأنها داخله في جوها . على اننا نحتاج الى زمان طويل حتى ندخل في منطقة نظام شمسي آخر غير نظام شمسنا . فان قليلا من النجوم تقرب من نظامنا الشمسي ، وهي التي يمكننا أن نقيس ابعادها بشيء من الدقة . واقرب هذه النجوم اليها كوكبة قنطوروس ، حيث تضئ برامة في نصف الكرة الجنوبي . وكوكبة قنطوروس هي اقرب الكوكبات الى الشمس غير انها تبعد عنها بمقدار ٩٠٠٠ ضعف بعد نبتون عن الشمس اما قطارنا السريع فيحتاج الى ٥٢ مليون سنة ليصل الى اقرب محطة من كوكبة قنطوروس . في حين ان كرة المدفع تحتاج الى مليون ونصف مليون سنة ، كما أن الشرارة الكهربائية لا تبلغ تلك الابعاد الحقيقية الا في اربع سنوات وكسر هو ٣ من عشرة لتقطع هذه المسافة التي تبلغ ٢.٥ بليون ونصف ميل !! غير ان هذه الأرقام لعظمتها لا تنقل إلى اذهاننا فكرة ثابتة . اذن فلنجرب طريقة اخرى لنعرف مقدارها . فأننا اذا فرضنا أن المسافة التي تفصل بين الشمس والأرض لا تزيد عن بعد ما بين عينينا فقط ، فان كوكبة قنطوروس على نفس هذه النسبة تكون بعيدة عنا بمقدار عشرة

الاميال او يزيد قليلا. ومع كل هذا فكوكبة قنطوروس هي اقرب جيراننا في اللانهاية



٧ - السنون النورية

لقد اضطر الفلكيون
اذ هم مرغمون على أن يعرفوا
بقدار هذه الابعاد القصية ،
واذ وجدوا أن قياس المسافات
بالارقام لا يسد حاجتهم ،
عمدوا الى طرق اخرى في
قياس الابعاد . ولهذا رجعوا
في قياس الثوابت الى حساب
السنين النورية . فان قياساً
من النور اذا اضاء في مكانه
استطاع راء أن يراه في الوقت

الذى يشتعل فيه ، ولو كانت المسافة ٧ - مجموع من النجوم في كوكبة قنطوروس
المسافة التي تفصل بينهما آلاف من الاميال . ذلك لان النور ينتشر في الفضاء
بسرعة تلوح بجانبها المسافات الارضية كأنها لا شيء . اما سرعة انتشار الضوء فقد
قيست على وجه الضبط ، فكانت ٠٠٠ ر ١٨٦ في الثانية . ومعنى هذا أن النور
يقطع محيط الارض عند خط الاستواء ثمانى مرات في الثانية . وقد عرف أن
سرعة انتشار الضوء مساوية تماما لسرعة التموجات الكهربائية . وعلى هذا نجد أن
النور يحتاج الى ثمانية وربع ليصل اليها من القمر ، وثمانى ثوان وثلاث ليقطع
المسافة التي تفصلنا عن الشمس . اما المسافة التي يستطيع النور قطعها في سنة
فتدعى في علم الفلك سنة نورية . ولما كانت السنة عبارة عن ٠٠٠ ر ٥٣٦ ر ٣١
ثانية ، ولما كان النور ينتشر بسرعة ٠٠٠ ر ١٨٦ ميل في الثانية ، أذن فالسنة
النورية عبارة عن مسافة كونية مقدارها ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٨٨٣ ر ٥ من الاميال

وهذا بعد يقطع القطار السريع في ٠٠٠ ر ١٢٠٠٠ سنة فقط !!

٨ - أبعاد بعض النجوم

ان كوكبة قنطوروس وفيها أقرب الثوابت الى نظامنا الشمسي ، تبعد عنا أربع سنوات وثلاثة من عشرة من السنين النورية . ومع هذا فان النور الذي تبعثه لا يصل النظام الشمسي الا بعد أربع سنوات ونصف من مقياس زماننا . وهناك ثوابت أخرى تبعد عنا بمقدار بعد كوكبة قنطوروس عشرة أضعاف ، لا بل مئة ضعف ! وهذه الاعتبارات نصل اليها من قياس اقدارها ونسبة حركتها . فان النجمة القطبية تبعد عنا ستين سنة نورية ، والعيوق Capella وهو النجم المشرق المضيء في كوكبه «ممسكة الأعنة» - Auriga - يبعد بمقدار سبعين سنة نورية . وهناك نجوم نكاد نراها بالعين المجردة وندعوها اصطلاحاً نجوم القدر السادس ، تبعد عنا بمقدار ٣٣٠ سنة نورية . اما نجوم القدر الثامن فتبعد عنا بمقدار ٧٨٠ سنة نورية . أما تلك النقط البيضاء الصغيرة التي تكون ما نسميه الطريق اللبني - Milky Way - فيقدر بعدها عنا بما لا يقل عن ٤٠٠٠ سنة نورية فقط !!

على أنه من العبث أن ندرك هذه الأبعاد بان نضعها امامنا في ارقام مادية . فان هذه العظمة لا تقدرها عقولنا المحدودة .

٩ - الطريق اللبني.

أما وقد وصلنا الى نجوم المجرة - Galaxy - فلا يجدر بنا أن نغفل عن أننا قد وصلنا لنجوم عالم عظيم مشابه لنظامنا الشمسي ، وأن كان القياس من حيث الضخامة والقدر ، مع الفارق البعيد . انظر الى السماء في ليلة صافية الاديم . فانك ترى الطريق اللبني تمتد في صورة عقد منحني من الشمال الى الجنوب ، مما يدلنا على أنها عبارة عن حلقة عظيمة القدر تتضمن مجاميع عظيمة من النجوم والكواكب في منطقتها . وهذه المنطقة العظيمة التي تملئ السماء تتكون من ملايين عديدة من النجوم ، وملايين عديدة من الشمس ، في حدودها القصية

التي تقدر بما لا يقل عن ٨٠٠٠ سنة نورية تعثر على شمس لاعداد لها ، تسع الواحدة منها شمسا والارض وكل سيارات نظامنا هذا ، بما فيها المشتري وزحل اللذين نسميها جبارى النظام الشمسى .

ان الطريق اللبئية عبارة عن التخوم الاخيرة التي تقع في حدود المسافة التي تحدها كل الكوكلات التي تتضمن ملايين عديدة من الانظمة الشمسية المشابهة لنظامنا . أما اذا استطعنا أن نظير في الفضاء نجوب جوانبه المتسعة ، وأمكننا أن نخرج من حدود الطريق اللبئية ، فائنا نجد أن هذا النظام برمته بما فيه الطريق اللبئية كأنه جزيرة كبيرة مضيئة ، وان شكلها يشابه حبة الحمص . حبة من الحمص تتضمن في جوفها ما لا يقل عن ٣٠٠ مليون شمس يفصل بين كل واحدة وأخرى مسافات شاسعات الابعاد ، وفي مركز هذه الحصة شمسا ومن حولها تدور أرضنا وبقية السيارات .

على ان هناك أسبابا حملت علماء الفلك على أن يعتقدوا بان الطريق اللبئية ليست بتابعة للنظام الجرمي الذي يلي نظامنا مباشرة بل عبارة عن منطقة محدودة أو حلقة تزدحم فيها النجوم أكثر مما تزدحم في أى مكان آخر من بحر الانهاية .

١٠ — ما بعد الطريق اللبئية .

ها نحن قد وصلنا الى بعد ٨٠٠٠ سنة نورية ، فهل وصلنا الى النهاية؟ كلا فاننا على بعد ٨٠٠٠ سنة نورية من الارض لا نكون قد وصلنا الا الى جزء حقير من الكل العظيم فالارض بقمرها نظام واحد هما . وكذلك المشتري باقماره الاربعة ، وزحل باقماره الثمانية . وكذلك الشمس بسياراتها نظام واحد . ثم الطريق اللبئية من بعد ذلك التي تتضمن كل هذه العوالم التي ذكرناها فانها تشغل كمية محدودة من المكان في الفضاء ارضين وشموس وسيارات عديدة . فلماذا لا يكون هنالك عديد آخر من الطرق اللبئية أو المجرات الشبيهة بمجرتنا هذه ؟

ولقد أظهرتنا التلسكوبات على بعض بقع صغيرة بيضاء دعوناها السدم ، وكان قد ظن من قبل انها عوالم خارجة عن حدود المجرة . ولا يزال البعض يؤيد هذا الرأي . ولكن هذه النظرية لم تثبت ، والراجح أنها نظم في طور التكوين داخل

حدود الكون الذي نعرفه . غير ان القياس والمقاييس تحملنا على الاعتقاد بوجود

عالم مشابه لعالم الطريق
البنية ولولم تشاهدها أعيننا.

١١ - الانسان والكون

اذا كان هذا هو الكون ،

فأى شيء يكون الانسان ؟

الانسان من الوجهة

المادية من أخطر الأشياء التي

يتضمنها الكون . اما من

الوجهة العقلية فهو من أعظم

مآدئ اليه سنن التطور من

تاريخ الكون .



ش ٨ - سديم اهلياجي

يقول باسكال : « الانسان يعرف انه حقير ، وفي ذلك سر عظمته » . كذلك

لا يغيب عنا بجانب ما يقول باسكال ان الانسان ومن فوقه هذه العوالم غير المحدودة ،

فيه شيء يناظرها من حيث العظمة . فيه تلك « المحكمة » الداخلية ، محكمة

الضمير . فانها بما تتضمن من شرائع الآداب العليا ، وبما لها من السلطة على

الانسان اذا خضع لها ، تضارع في نظري كل هذه العوالم بما تتضمن من شمس

وسيارات وسدم ومجرات .

الانقلاب الفكري

حول الازهر واصلامه

نشرنا في هذا العدد مذكرة صاحب الفضيلة الشيخ المراغي برمتها ، لا لانها اقوم ماقرأنا لعالم ديني في اصلاح الازهر ، ولا لانها قد صيغت في قالب من الحرية الفكرية جدير بكل تبجيل واحترام لاغير ، بل لان الازهر اذا اصلاح على القواعد الاولى التي عبر عنها الاستاذ للمراغي احسن تعبير وشرحها أحسن شرح ، بلغنا من الازهر تلك الامنية التي طالما تمنيناها للعالم والدين في ارض مصر ، محور العالم الاسلامي ، ومنبع التطور الحديث في الشرق العربي كله .

وما أعرف من سبب يصد الازهر عن التقدم والارتقاء ، بل وعن التفكير في أن يساير خطا الحركة الارتقائية التي اخذ كل الشعب المصري بضرب فيها بقدام ثابت ، حتى قرأت هذا التقرير التاريخي ، فعلمت أن الازهر كانت تنقصه ، كما كان شأنه في كل عصر الحديث ، رأس مفكرة وضمير حر ، وعقل تدرب على فهم الحقائق على صورتها الصحيحة ، ساير حركة التقدم العام الذي ضربت فيه مصر على أثر الامم الغربية ، وانه اذا وحد الشخص الذي يزود بهذه الصفات ، استطاع الازهر أن يجد التسكأة التي يتكى عليها ليخطوا الى الامام مسايرا ببقية المنظمات التي تقوم عليها مدينتنا ، واستطاع على الاقل أن يخلص من المؤتمرات التي تهمد باسمه ، كمؤتمر الخلافة ، وهو بعيد عن أن يمد لهذه الحركات الاجنبية ييد ، أو يعضدها بميل أو شبه ميل ، لولا رؤوس ملئت بكل شيء الا بالعلم ، ونفوس عميت بكل شيء الا بالايمان ، وكانت تحمل محل الرأس التي تقوم على الازهر وعلى أهل الازهر ، لتحول بينه وبين مفاسد اهل العالم الذين انحنى عليهم الامام محمد عبده بكل لوم وهو على فراش الموت فقال

ولست أبالي أن يقال محمد ابل أم ا كنتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد اردت صلاحه احار أن تقضى عليه العمام
فيارب ان قدرت رجعي قريبة الى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضيء النهج والليل قائم
وهاهو النرج قد بدأ يستضيء ويستهدي بنفس المبادئ التي ذهب الامام
ضحتها ، وكان فقدان صيته وخدش كرامته بين الجامدين ، مقدمة لنقدان حياته
وصحته في سبيل الازهر وأهل الازهر .

ان النظام الذي تبع الازهر التزامه خلال كل عصوره منذ أن شيده القائد
جوهر حتى أواخر القرن التاسع عشر ؛ أي منذ أن خطب فيه باسم الفاطميين
لاول مرة إلى العصر الذي بدأ الاستاذ الامام يفكر وقليلاً من صحبه الذين
طوى بعضهم الموت ولا يزال بعضهم الى اليوم حياً يرزق في اصلاحه ، لنظام
فيه من البعد عن عقلية العصر الحاضر ، بقدر ما في القول بأن الارض مركز
النظام الكوني ، وبأن الانواع خلقت مستقلة ، وبأن زوايا المثلث تساوي أربع
قوائم ، عن الحقيقة . واثن كان في التثام مؤتمر أعرج مثل مؤتمر الخلافة في جوف
الازهر وتحت ظل الازهر وظل أساتيد ذوى العمام الضخمة ، والعقول الفارغة شيء
من طيب النزعة أو حسن الاثر ؛ اذن فيكون في الازهر على ماهو الآن أثر من
حب الحق أو الاستقلال في الرأي أو الاعتدال في الرغبات أو القصد في الغايات
ولعمرك كيف تقول في الازهر وفي أهل الازهر وفي أساتيد الازهر ، وأنت لا تقوم
من حركة سياسية في هذه البلاد الا وتتجه الانظار الى الازهر لترى ماذا يكون
من اتجاهه ازاء تلك الحركة من طريق ادارة المعاهد الدينية ورءوس المعاهد
الدينية ، ليعرفوا معرفة حقة من أين سوف تهب رياح الحوادث في الغد القريب .
أليس في هذا وحده دليل كاف على أن الازهر يحتاج الى اصلاح ويحتاج قبل
كل شيء الى الخروج من ميدان السياسة خروجا تاماً ليتفرغ أهله الى الدين

والدنيا ؟ أليس الازهر في احتياج الى أن يتحرر أهله من التقاليد والاساطير ، بل ومن فاسد النزعات الانسانية ، ليكون مثابة للتقى ، ودهباً للورع ، ومباعدة تقيام الليل والنهار ، ومنزلاً لسجود العشي والاصائل ، لا مركزاً للدعاية لمثل مؤتمر الخلافة والعبودية الخلافة ، ونزوة الخلافة ، بل وان شئت فقل أضحوكة الخلافة . وماهى بأضحوكة . بل كانت جداً ، سار فيه الازهر ، استغفر الله بل أكبر عمائم ، وراء زخرف الدنيا بما فيها من ولائم وكرائم ، وأكل وشرب وتكثير من الاموال والشمرات ، لولا أن تداركنا والحمد لله صاحب الاسطول بأسطوله ، وصاحب الطول بطوله ، فجعلها أضحوكة بعد أن كانت غمرة فتحت لنا قفاها ، وفجوة من فجوات جهنم لم ينقذنا منها الا شيطان رجيم .

وانى مع هذا لأظن أن صاحب الفضيلة الشيخ المراغى يستطيع أن ينفذ برنامجـه الاصلاحى الكبير ومن حوله تلك العمائم التى اعتادت على أن يكون الازهر مباءة لقاذوراتهم ، يدخلونها اليه كلما كنسها الفراشون وحماها عمال مصلحة الصحة الى مجارى القاهرة . بل أعتقد أن الازهر لن يتطهر الا اذا ظهرت ادارته من أشباه الرجال الذين كاد الازهر ان يلبس على الدين بسعيهم أثواب الحداد ، وقيم للهدى واليقين والايان جنازة ترقص فيها عجائز القرى اللاتى تعين من كثرة ما حمل أهلهم الى الازهر — وهو يعلم الله براء — من فطائر وسمن وأرز وثياب وأموال ، ماضعت الا هدرًا ولا ذهبت الاسدى ، وما خرج الازهر بها الا جهلاً يتحرك بين القرى ، والا غواية تسير فى الطرقات ، ماله فى الدنيا من أثر وماله على الدين من فضل ، الا تحاييل المحرمات بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان ، وما عرفها الدين ولا أهل الدين ، فمن محاملات لا يعرفها الشرع الى زواج متعة ماهو الا السفاح والسفاح اهدى ، بل ويأسى لى الاستاذ المراغى ، الى بيع غفرانات كما كان يفعل قساوسة الكنيسة فى القرون الوسطى .

والله لو أن محمداً كان قد قتل كما قتل الكثيرون من أصحابه ، أولوا أنه صلب

كما صلب المسيح لبيعت قطرات دمه من خريجي الازهر على الطريقة التي يتخرجون بها من أيدي ذوى العمام ، عربونا على دخول الجنة و بناء قصور لبناتها من فضة وذهب وأرضها من جوهر وسقوفها ممردة بالمرمر والزبرجد والفاروز . ألم يبيع أهل الكنيسة دم المسيح على اعتبار ان قطرة واحدة من دمه كافية لتخليص العالم ، اذن فهم فى حل من بيع بقية القطرات لمن يريدونها ليفوز بالجنة ويعبر اليها المطهر فى سلام ، بل وليكون منذ هلكه الى يوم مبعثه فى مستوى أهل سيراف وملائكة الكروبيم ؟

يا صاحب الفضيلة : لئلا نؤثر من دم الازهر تسعا وتسعين جزءا ولم يبق الا جزء واحد . وهو كاف على ما أدري ليعيد الحياة الى هذا المعهد بل الى هذه الجامعة التى يجب ان يجمع التعليم فيها بين نفع الدنيا ونعيم الآخرة . فعليك بالمطهرات القوية لتقتل بها تلك الجراثيم التى لا تزال ساجدة فى ذلك الجزء تحاول امتصاصه . صب عليها من المطهرات قدرا يقتلها سريعا وفز بجزء من دم الازهر تحيى به بقية الاعضاء التى ماتت وما تنتظر الا اللحد ثم قيامة الجنائز والنواح على مجد زال ودين كاد يدركه الزوال .

وما مثل دعاة الاصلاح من أهل الرئاسة فى الازهر الا كمثل المعرى حيث يقول :

اذا قلت المحال رفعت صوتي وان قلت الصحيح اطلت همسي
أطل همسك يا صاحب الفضيلة ولا تعباً بجرائم ما عاشت الابن بلايض السفن
والجن وما تكاثرت الابن الانات والآهات ترسلها الامهات الفقيرات والآباء التاعدين
لاشى عيا سیدی الايخرج لهم من الازهر بين ناجح نجيب يقرعين اهله بمحلل حرام ،
أو بمحرم يحلله . وما ذاك الا اذاء دربهات يأنف السائل المتجول فى الطرقات ان يمد لها
يداً او يحسب اذا اخذها أن رأس قتاله قد تكثر أو أن حاجته قد سدت . كل

هذا والازهر في ملكوت الله يسبح في غفوة كأن الزمان ما تحرك من حوله وكأن
الفلك مدار . أما اهله فلا تأخذهم عما تدلم ومالا تعلم وما أنت به اعلم ،
سنة ولا نوم .

و بعد . فيا صاحب الفضيلة : ففي الازهر نواة طيبة اقصصهم الاغراض عن أن
يكون لهم في الازهر كلمة تسمع او صوت يرفع . وما اعرفك عنهم فانت بهم مني
اخبر . فخذ هؤلاء عدتك في اصلاحك وفقك الله ورضى عنك وارضاك



فكرة السلام

نقد وتحليل

١ - تمهيد

لا نريد أن نبحث مشكلة السلام من ناحية آثارها التي تترتب على نشر الوئام بين الأمم. ولا نريد أن نذهب مع النظريات في مذاهب لا نستطيع أن نخلص منها بنتائج ثابتة. بل نريد أن نبحث مشكلة السلام من ناحية علاقتها بالسياسة العامة ومطامع السياسيين من جهة، ومن ناحية علاقتها بترقى الأساليب العلمية الحديثة من جهة أخرى.

وقد يسأل سائل ماهي العلاقة بين السلام والسياسة والعلم؟ والواقع أن تقدم الاستكشاف العلمي وتسود الإنسان على قوى الطبيعة ووقوفه على الكثير من أسرارها قد أحدث انقلاباً في الأفكار كبيراً، وتغييراً في وجهة النظر الذي كان ينظر الناس من ناحيتها في الحياة الإنسانية. فبعد أن كانت « الحرية الشخصية » حكمة القرن التاسع عشر، وبعد أن كانت « الحرية والاخاء والمساواة » أنجيل الثورات الانقلابية في العالم، أنقلبت الفكرة في هذه المبادئ انقلاباً إلى النقيض وإذا بنا نسمع الاستاذ « جوليان هكسلي » وهو من أكبر البيولوجيين، يقول متى يقلع الناس عن سخافة القول « بالحربة الشخصية » — وإذا بقطا حل الاجتماعيين يقولون إن الحرية والاخاء والمساواة، ثلاث متناقضات لا يمكن التوفيق بينها عملياً وأن بهرت الناس في الاعتبار النظري. فإن الحرية تناقض المساواة، والاخاء يناقض الحرية. هذا بعد أن ثبت للاجتماعيين أن الحياة منافسة وجهاد وان الكفريات الإنسانية يجب أن تفوز بقدر مؤهلاتها الطبيعية في الحياة.

ولم يكن لهذا الانقلاب الكبير من سبب الا تقدم العلم والاستكشاف

وعلى الأخص في مجال العلوم البيولوجية وما تفرع منها مثل الوراثة واليوجينية وقوانين الصحة ، وما تعلق من هذه الأبحاث الجديدة بالعلوم الاجتماعية كالأحصاء وشرائع الزواج والطلاق وتكوين الأسرة ومستقبل الأمم من وجهة بيولوجية صرفة .

٢ — عصر جديد

ولا شبهة مطلقاً في أن هذه الأشياء في مجموعها تؤثر في السياسة العامة تأثيراً لا يظهر أثره الآن جلياً في تدبير حاجات الشعوب . فن عصر السياسي الاتمهاري قد انقضى أمده أو كاد ينتهي ، وكادت نبوءة أفلاطون الذي فاه بها منذ خمس وعشرين قرناً من الزمان تتحقق بحذافيرها في هذا الزمان إذ قال بأن الأمم يجب أن يعهد بها في أمر سياستها إلى « الفلاسفة » . وما شغل الفلاسفة من مكانة في العصور القديمة ، شغلها اليوم العلماء المجرّبون في هذا العصر .



ش ١ قصر السلام في لاهاي

ولقد شعر الناس بحاجة ماسة إلى سياسيين من طراز جديد يعرفون أدواء الأمم بطرق عملية ويأخذون في معالجتها بأساليب قائمة على التجارب العلمية

الحقيقة النتائج . لهذا قال الكثيرون من كتاب هذا العصر المعروفين إن فشل الديمقراطية ليس له سبب الا فشل السياسة الانتهازية التي اتبعتها سياسيو القرن التاسع عشر وسار على أثرهم فيها سياسيو القرن العشرين .

٣ — أثر الصحافة

إذا كان سياسى العصر الحديث أشد الناس « انتهازية » أو « وصولية » كما يقولون ، فإن صحفى هذا العصر ؛ أو على الأقل الأغلبية الساحقة من صحففيه ، من أشد الفئات تطفلا على جسم الاجتماع . ذلك لأن الصحافة أصبحت مرتزقا وأصبح الصحفى أجيراً . وبذلك خرجت الصحافة عن دائرتها الأصلية دائرة الارشاد والنصح وتوجيه الجماهير فى سبيل الخير الى وسيلة لكسب المادى كأنها متيجر من المتاجر تنخدفيه نزعات الجماهير سبيلا لنيل الاغراض المادية . فإن الصحفى فى هذا العصر سواء أفى السياسة أم الآداب ، لا يحتاج ليصل الى النجاح الى شىء أكثر من أن يعرف كيف تسير الحوادث وكيف يستفيع بسلطة المصلطين يملقهم ؛ ثم يساير اتجاه الجماهير يعضدهم بالقول وفارغ الكلام لتدبر عليه رضوانها من جباه ومال .

على ان للسياسة الانتهازية أثر فى تخرىج هذا الضرب من الصحفيين السياسيين . اما القائلون على امر التعليم فمسؤولون عن تخرىج ضرب آخر من الصحفيين الذين يدعون زوراً أنهم يحترمون الأدب اذ يعكفون على اشياء تقوم على ما تحب الجماهير أن يكون مذهبها لاوقت وقتلا للأدب العاكة . وبهذا تعيش الصحافة متطفلة على الجماهير ، فلا ترشدها ، ولكن لتضلها ثم تستنزف دمها .

لهذا نشعر بنقص كبير فى القوانين العامة . فإن القانون العام إنما يوجه كل همه الى صيانة الفرد وحقوق الفرد . أما المجتمع ، اما الجماهير ، فلا قانون يحميها من تطفل الصحافة ومن أنتهازية السياسيين .

٤ — انتهازية السياسى وتطفل الصحفى

اجتمعت هاتان القوتان الكبيرتان وتعاضدتا لتقوم احدهما على كتف الاخرى . ولا عمل لهاتين القوتين في العصر الحاضر الا تدبير الحروب وسفك الدماء وهضم حقوق الامم .

ولا جرم أن الصحافة قوة لا يستهان بها ، ولها في الاجماع من الاثر البالغ ما لا يقاس به اثر الجامعات المشيدة او النظم الاجتماعية التي قامت مع الانسان منذ ابعد عصوره حتى اليوم لهذا كان اثرها في توجيه الجماهير بالغاً وعلى الاخص في الازمان التي تقع فيها الازمات السياسية والحروب . وما عليك الا أن تتصور الى اي حد يبلغ اثر الصحافة المتطرفة على انفعال الجماهير يعصدها سياسيون انهزاميون لا يهمهم من شيء اللهم الا أن يكونوا في الحكم وأن يكون لهم جاه الانتصار عند النصر وكرامة الانهزام « بشرف » عند الهزيمة .

٥ - فشل الديمقراطية

اذا كانت الديمقراطية والنظام الذي قام عليها من تكوين البرلمانيات المنتخبة بطريقة التصويت العام ، دواء الداء الحكم الفردي والاستبداد الملكي ، فانها ولا شك قد فشلت فشلاً تاماً ، وعلى الأخص في الامم اللاتينية . فان الاقليات مهما بلغت نسبتها من الصخامة ؛ حتى ولا بلغت خمسين الاربع في المائة ، استبد بها وأهيئت كرامتها ورفضت مشروعاتها ولو كانت خير الامة .



أما الاغليات فتحكمها اقليات نشيطة فيها قليل من الجرأة تعصدها قوة من الخطابة غير محدودة المقاصد والغايات ، الا فيما يزيد الاكثرية قوة والاقلية ضعفاً .

ولم يقف فشل الديمقراطية عند هذا الحد ، فان الشعوب قد تبدلت من ملك واحد يملك عديداً تؤثر في ادارة

ش (٢)

لورد فنلي العضو البريطاني في محكمة السلم الدولية بلاهاي

البلاد تأثيراً سداه الاغراض الشخصية وحيازه اكبر قسط من المنفعة بالسلطة المستمدة من صفة النيابة . وهي صفة كبر شأنها في الامم اللاتينية وامم البحر الابيض المتوسط عامة حتى لقد تعطلت الحياة النيابية بالفعل في كثير من هذه الامم . اذن لم تنجح الديمقراطية البرلمانية في تخفيف الويلات التي كانت تعانيها الامم في الازمان الاولى . بل زادت اليها خطر الانبعاث في حروب اهلية كما كاد يحدث في ايطاليا عند الانقلاب الفاشستي ، وكما حدث بالفعل في روسيا عند الانقلاب الشيوعي .

على أن هناك فرقاً بين نظام الاستبداد الفردي والنظام الديمقراطي . وينحصر هذا الفرق في أن الاستبداد الفردي كان يواجه الشعوب بقوة الجند والسلاح باعتبار أن حتى الملكية موروث أو بالفتح أو أنه من عند الله !! أما النظام الديمقراطي فمن شأنه أن يجعل أحزاب الأغلبية ، اذ هي تحاول المحافظة على سلطتها في مجالس النيابة ، تعمل جهد ما تستطيع أن تملق الجماهير بالوعود الخلابية وبالختل حيناً والمواربة حيناً آخر ، بل وبالرشوة في غالب الامر . لهذا تشعر الامم في ظل الديمقراطية أنها تحكم ، في حين أنها لدى الواقع تكون محكومة بقليل من الافراد الذين لا هم لهم الا أن يجمعوا من حولهم كل الظروف التي ينجيل معها ائى الامم أنها حرة ، وأنها تحكم بالفعل وأنها مصدر السلطات . اذن ففشل الديمقراطية في هذا العصر راجع الى صفات اجتماعية أولها انتهازية السياسيين وثانيها تطفل الصحفيين على جسم الجماعات . وهذه أشياء من شأن العلم أن يبحث لها عن علاج كما يبحث العلماء عن علاج الامراض الخبيثة .

٦ - فشل الدكتاتورية السياسية



ش ٣

دكتور لودار رئيس محكمة العدل
الدولية سنة ١٩٢١

وكذلك الحال اذا رجعت الى
الدكتاتورية السياسية فانها فشلت ولا
شبهة في أن تسوى من ناحية الحرية
السياسية بين طبقات الامم . فان معنى
الدكتاتورية هي الحكم المطلق . فاذا
استندت الى اكثرية كما هي الحال في
ايطاليا ، ظلت الحياة النيابية قائمة في

الظاهر ، معطلة في الواقع . فالدكتاتور ، وهو رئيس الاغلبية ، يكون لدى الواقع
الحاكم المطلق ، ومجالس النيابة اداة تدمغ قراراتها بالقوة التشريعية . وهنا تموت
الاقلية وتفنى تحت ظل الاستبداد المطلق الذي لا تعيش الدكتاتورية الا في
ظلاله . اما اذا استندت الدكتاتورية الى اقلية ، كما هي الحال في روسيا ، تعطلت
الحياة الديمقراطية في الظاهر وبالفعل ، وقبضت الاقلية على زمام الجماهير بقوة
السلاح ، وهنا تموت الاكثرية وتخضع لحكم اقلية تريد أن تفرض على النظام
الاجتماعي مبادئ لم يالفها ونظامات لم يبلغ اليها بحكم الحاجة اليها ، بل بحكم التصور
القائم في رؤوس بعض الافراد .

٧ - هل تنجح الدكتاتورية العلمية ؟

لاجرم أن التنبؤ بنجاح الدكتاتورية العلمية في هذا العصر أمر سابق لاوانه .
وان كانت كل الدلائل تتجه بنسب نحو الاعتقاد بان الدكتاتورية العلمية هي
التي سوف تنقذ العالم من شر الحروب والثورات وتقيم النظام الاجتماعي على
قواعد ثابتة .



لقد تقدم العلم خلال خمسة العتود الفارطة
تقدما محسوساً حتى لقد بدأ يتدخل
بسلطته الغالبة في كل ما يقوم في الاجتماع
من المظاهر التي كان يخيّل اليها أنها ثابتة
ثبات السرمدة والابد ؛ وأن التغيير ان
يحتاجها ؛ وان التبدّل ليس له محلها من
سلطان . فتوانين الزواج والنسل التي

ش ٤

القاضي جون مور العضو الأمريكي
في محكمة العدل الدولية

كان يظن انها من أخص ما يتمتع به الانسان من مظاهر الحرية الفردية أخذت اليوم
تخضع شيئاً فشيئاً لمباحث العلم ولاثر العلم . وقس على ذلك بقية الاشياء التي يحتاج
اليها الانسان من ملابس وغذاء وشراب بل وكل ما يحتاج اليه المدنية في الضرورات
الاولية . عامة ذا خضع للعلم في العصر الحديث .

ولا يفوتنا بجانب هذا أن العلم قد أحدث باستكشافاته الكثر فكرة سلبية
حملت الجماعات على أن تفكر في أن السلام وسيلة تؤدي الى حفظ الذات ضد
المهلكات الحربية التي أدى اليها العلم . لهذا نقول بان فكرة السلام بين الامم كان
السبب فيها نزعة أو غريزة حفظ الذات ضد مهلكات تكتسح الالوف لا الافراد
في طرفة عين ؛ فاتخذت وسيلة يتق بها الهلاك ؛ لا غاية يسعى الانسان اليها مأخوذاً
بجلال ما فيها من سمو الفكرة أو الجمال .

وهذه النظرية ، بل هذه الحقيقة وحدها ؛ كافية لان تمنعنا بان المستقبل
سوف يكون لدكتاتورية العلم ، تقوم على الجماعات ، وصية تستهدى بقواعد ثابتة
في تصريف الحالات التي يتطلبها وجود الانسان في حياة اجتماعية . ولا جرم ان

انتصار الدكتاتورية العلمية سوف يكون آخر عهد الناس بالسياسى الانتهازى والصحفى المتطفل ، اللذين هما أول من يسألا عن الحروب وعن الثورات التى تكاد تنزل قواعد المدنية .

والحقيقة ان السياسى فى العصر الحاضر أخرج ما يكون إلى علم البيولوجى والوراثة والاحصاء وما يجرى مجراها من العلوم التى بدونها لا يفقه للنظام الاجتماعى من معنى ولا يعرف كيف يصرف الازمات التى تشب فى عصر المدنية الحديثة كأنشب الطفيليات ، فجاءة وبلا اندار ، فإذا لم يبادرها المفاجئون بالمعول والفأس قتلت الغرس الاصلى وقضت عليه .

ولا شبهة مطلقاً فى ان العالم الاجتماعى برمته يجتاز الآن عصر انتقال سوف يتقشع غباره عن نظام جديد يقوم على انقراض كثير من النظم التى سوف تنهدم وتبيد . ولكن الظن الغالب ان سياسى العصر الحاضر وصحفية أو بالاحرى انتهازى السياسية ومتطفل الصحافة ، سيكونان أول ما يبيد من مظاهر العصر الاجتماعية .

٨ — فكرة السلام .

الفكرة التى تقوم فى العصر الحاضر فى رؤوس السياسيين فكرة غير قومية ، فان السلام يتخذ عندهم وسيلة لحفظ الذات ودفع المهالكات الحديثة عن الامم . اما فكرة السلام لتكون ثابتة فواجب أن تقوم فى الرؤوس على أنها غاية لا وسيلة . أما هذه الفكرة فلا تقوم فى الرؤوس ويكون لها أثرها الثابت إلا فى ظلال الدكتاتورية العلمية .

والمحصل من كل هذا اننا اليوم فى جو اضطراب وفوضى ، وفى عصر انتقال سوف تصفى فيه النظم الاجتماعية من كثير مما يفشاها اليوم من المفسدات . اما أظهر مفسد هذا العصر فالسياسى الانتهازى والصحفى المتطفل . وكلاهما

مرهون وجوده على قيام الدكتاتورية العالمية لتحل محل هذه النظام الخرقاء التي أدت وسوف تؤدي الى الحروب العامة والثورات .

السلام غاية لا وسيلة . فاذا اتخذ اليوم وسيلة تتقي بها متكشفات العلم الحديث ، فليس لنا أن نغتبط وان تتمتع حوادث هذا الدهر ؛ ولكن المستقبل للعلم ، لا بين جدران المعامل كما هو شأنه الآن ؛ بل في السياسة العالمية والنظام الاجتماعي .

نموذج جديد

من رباعيات الخيام

لهلاكنا تجري السماء وما لها الا اغتيال تقوسنا في مقصد
اجلس بزاهي الروض وارشف الطلاب فالروض ينبت من ثرابنا في غد

ضم جسم الزجاج روحاً خاكي يا سميناً يحيط في ارجوان
لا لعمرى فالجام حامد ماء ضم في القلب سائل النيران

ثوب قدسى خلعتة فوق دن وتيممت في ثرى الحان حزما
فعسانى التى لدى الحان عمرأ ضاع منى بين المدارس قدما

لا عيش لى بسوى صافى المدام ولا أطيق حملا بغير الراح للجسد
ما أروح السكر والساقى يناولنى كأساً وتمجز عن أخذ الكؤوس يدي

اجعلوا قوتى الطلا وأحيوا كهرباء الحدود للياقوت
واذا مت فاجعلوا الراح غسلي ومن الكرم فاصنعوا تابوتى

سيد احمد الصافى النجفى

النقد والتأليف

السفور والحجاب

للآنسة نظيره زين الدين

ترحب هذه المجلة بنفحات يراع السيدات على وجه خاص . تقول هذا بالرغم من اننا نقسو دائماً على المؤلفين وتفضل هذا ونحن مطمئنون بانهم يأولون قسوتنا الى رغبتنا في اظهار مواقع الضعف فيما يكتبونه عساهم يتلافونها فيما بعد . وبما اني اتبع الرأي القائل بعدم وجود فارق بين أفراد الجنسيتين يجب أن اشعر السيدات بأن من الواجب عليهن تحمل النقد ، مثلهم في ذلك مثل الرجال . وقد بسطنا رأياً عن كتاب ااري زياده حاولنا ان نتناسى فيه انا نكتب عن سيده « فان المطالب بالحقوق مطالب بالواجبات ايضاً وانا آمل ان تكون ماري قد حملته على خير محمل . وهذا ما أطالب نظيره زين الدين الاكن به ايضاً

السفور والحجاب ليس كتاب علمي بل صيحة ألم تنجت عن تهجم الحجابيين على السيدات السافرات في دمشق . واطن هذا هو الداعي لوضعه في صورة محاضرات . وبالطبع اهتمت المؤلفة قبل كل شيء ان تجتذب القراء لصفها تارة عن طريق الاثبات وتارة عن طريق العواطف وتارة . . . ايضاً . . . عن طريق . . . المغالطة

والمطلع على الكتاب يلاحظ انه كتب باندفاع لا عن روية وليس هذا يطمئن في مادته لانها جيدة ولو ان فيها خروج كثير عن الموضوع وكثير من الحشو والتكرار لتلك الامور التي تلازم دائماً الاندفاع ابدأ . فنظيره زين الدين قد القت ذاتها في بحر هائج من العواطف لم تلبث حتى تلاعبت بها

وفي الكتاب أسئلة اجابت عليها الأئمة اجابات استفهامية اى بدلا من ان تجيب انقلبت سائلة وقد تهربت في عدة مواقف عن الاجابة والتجأت الى مواقع الضعف في الرجل . كذلك لاحظت انها اذا واجهت حديثاً مضاداً لرأيها (وما أكثر احاديثها) زاغت من طريقه واكثرت من التكلم عن الاحاديث المفتعلة واذا وجدت أية عقبة في سبيلها حوات وجهها صوب العلماء الاعلام وصبت على رؤوسهم جام غضبها لانهم جامدون ولاهم ولاهم . لا تغضبوا يا أصحاب الفضيلة فان مناظرتكم صاحبة فضيلة ايضاً والا لما ملأت ربع كتابها بآيات قرآنية وربعة باحاديث واما الربع الثالث باقتباسات اغلبها عن السلف الصالح ؟ فهلا يحق لى والحالة هذه أن أخلع فعليها حلة العلم مع لقب العالمة العلامة والبحر الفهامة صاحبة الفضيلة نظيره زين الدين . وفي الكتاب اجزاء كتبت بروية يخيل لى كأن كاتبها مشرعة ومن السهل العثور على هذه الاجزاء من « قواعد فقهية » و « بناء عليه » الخ . وأحسن النموذج لذلك هو افتتاحية القسم الثالث من الكتاب

وكان هم نظيره قد اتجه قبل كل شيء الى اقناع واصفائها علماء الشرع فكانت لهم من بضاعتهم حتى انها لم تنس ان تتكلم عن ذي القرنين والسدين الذين بناهما وقد تذكرت وانا اقرأ هذا البحث كتاب « الكاف في اثبات وجود جبل قاف »

سأجتهد الآن ان اقدم للقارىء زبدة كتاب الأئمة : —

بنى الدين الاسلامى على حرية الفكر والارادة والقول والعمل ولا مسيطر على المسلم فى امر دينه الا عقله وارادته ولا حجة بينه وبين الناس إنما الحجة بينه وبين الله . فاذا لم يسمح الله لنبيه بان يكون وكىلا او حفيظاً على عبادته فكيف يجمل الانسان من نفسه على العباد وكىلا وحفيظاً (٩)

بلى الشرق بظلمات اربع . ظلمة نقاب عن نسيج ، وآخر من جهل ، وثالث من رياء والاخير من جمود . المرأة المسامة ، لا تطلب منك تحريرها فهي حرة

في كتاب الله (١٤) رأت المرأة المسلمة كل رجعي او كل ذى هوى مسيطراً وولياً ووكيلاً عليها . انه لم يترك بين نساءه ونساء غيره . لان النقاب مشترك مانع من تمزيقهن فعد كل رجل نفسه قواماً على النساء جميعاً ورأت المرأة كل الرجال قوامين عليها . يريد الدين كشف وجوهنا للهواء والنور مثلما يكشف سائر الناس وجوههم (١٥) ان ستر وجه المرأة ليس من شروط الاسلام ولا من اركانه وليس سفور الوجه من محرماته فشروط الاسلام اربعة العقل والبلوغ وعدم الاكراه والشهادتين وأركانه خمسة الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج واعم المحرمات هي الفحشاء والخمر والربا (١٨) فلم يذكر بينها الحجاب والسفور

يجب ان يوجه التأويل والاستحسان الى التيسير (١٩) وما الحكم في الاهتمام بالحجاب اكثر من اهتمامهم باصول واركان الدين حتى انهم يهتمون بتحجب كافة النساء ولا يقتصرون على حجب نساءهم فاذا كان دعاة السفور لا يعتدون على المحجبات فهلا يجب على دعاة الحجاب ان يوقفوا تهجمهم على السافرات (٢٢) لم تحرق الاكنسة النظام وتفر من سجن الحجاب بل هو والدها الذي عد سجنها منافياً لعدل الله وعدل الانسانية (٢٨) تأخرنا نتج عن استعبادنا للام (٣٢) الامة المشلول نصف اعضائها لا تستطيع ان تبارى وتستولى وتتفوق (٣٣) كلما تجد اقوالاً لمفسرين تجد اخرى تخالفها وتناقضها (٣٧) معنى التحجب هو كره التبرج ووجوب التستر المانع له (٤١) اكثر علماء زماننا تقلوا كل ما فيه بدع من التفسير والتعبد (٤٦) النساء ناقصات عقل ودين ؟ يا سادتي ليس من مصلحة الامة الاسلامية ولا من مقتضى شرفها ان يكون نصفها ناقص العقل والدين وليس من مصلحة الرجل ان يقال ان امه ناقصة وابنته ناقصة عقلاً وديناً الخ (٥٧)

الدين يحرم الربا والرجل قد حله وحرم المسكر وبيعه والرجل قد اباح ذلك في قوانينه وحرم لحم الخنزير والرجل يضرب عليه الضرائب وواجب الحدود الشرعية، والقوانين قد الغتها. وحرم الصور والتماثيل والمتاحف ممثلة

بها. الدين اباح الاسترقاق فخرمناه، فيا لتدين الرجل وبياغيرته على الدين ! انه كامل الدين يا سيدي الرجل . انك لا ترى ما فعلت وفعلت مروقا والحاداً ولكنك ترى الاحاد ان تكمل المرأة ادباً ونوراً وعقلاً (٦١) الله غطى وجه الرجل بالشعر الطويل والدين امر بابقاء ذلك الغطاء اما الرجل فقد ازاله وخلق الله وجه المرأة مكشوفاً تقياً والدين امر بابقائه مكشوفاً جلياً اما الرجل فقد غطاه بالنقاب ليجعله خفياً فيجب اذن ان يعترف الرجل بانه ليس اكمل من المرأة ديناً (٦٣) الا نرون ان المرأة مع حرمانها تجارى الرجل رقياً في امور الحياة كلها. فكم من مكتشفات ومخترعات الخ يسابقن الرجال في ميدان العقول . رفعة روما تسببت عن الحرية وكذلك اليونان والاسلام وهكذا المرأة اذا سلبها الرجل حريتها نراها في ظلام الجهل (٦٩) نطلب من الرجل ان يعترف بان المرأة مثله عقلاً ومنزلة (٧٢) الذكر اقوى جسماً من الانثى ولكنها اصلح غريزة منه ولولا ذلك لما كلف الله انثى الطير بناء العش وتربية الصغار وحفظهم وكل ذلك من خصائص العقل في حين ان الله لم يكلف الذكر الا جلب الغنى والتقاط القوت (٧٣) هل رايتم ياسادتي حيواناً في الدنيا يعامل انثاه كما يعامل الرجل انثاه. هل رايتم حيواناً وأد اولاده كما فعل الرجل (٧٩) يفتخر الرجل بانه كالنسر والمرأة بين مخالفته كالحمامة ولعمري ان الحمامة خير للانسان من النسر (٨٠) لا يجب ان يتخذ عن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل دليلاً على نقص عقلها فليس عدم الاعتماد على شهادة غير المسلم على المسلم دليل على نقص عقل ذلك الغير فالشهادة ليست اكثر من تكليف يتعب صاحبه ويخرجه فالله اراد ان يخفف عن المرأة ذلك التكليف (٩٤) انك خلقت والمرأة من روح واحدة فعلام تدعى انك اكمل منها في الفطرة عقلاً . يكلف الله المرأة التكاليف الشرعية في السنة التاسعة من عمرها ولا يكلفها للرجل الا في السنة الثانية عشرة هذا اذا بلغ أفلا يدل ذلك على ان المرأة يكمل عقلها قبل ان يكمل عقل الرجل ؟ (١٠٥)

اهل الحجاب لا يجاوزون عدة ملايين من الاسلام ولكن العالم الاسلامي في القرى وكل الامم الاخرى اهل سفور . الامم السافرة امم راقية رقياً ليس للامم المتحجبة مثله (١٠٩) لا يجوز ان نُسند التبذل الى اكثر من مديار ونصف من الناس اكثرهم ارقى منا ونحصر الشرف فينا ونحتكره لنفوسنا وما نحن الا عدة ملايين اكثرنا قاصر متأخر في رقيه (١١١) الامم كالاشجار يسقط من ثمارها ما كان خبيثاً فاسداً فتتناوله الحشرات . فلا تعرف الشجرة مما يرى تحتها من ثمرات ساقطة (١١٣) اذا كان في الحجاب اشارة الى عجز المرأة عن نيل حقوق بدونه ففيه اشارة اخري الى ان الرجل خائن سارق للاعراض (١١٧) كيف يستطيع الرجل ان يكون قواماً علي المرأة وهو يحجب وجهها بحجاب يمنعه هو نفسه من معرفتها خارج بيتها . كيف يكون قواماً عليها وقد حرم عليه الدخول الى كل مكان تكون فيه اذا قيل له ان معها محجبات وقد يكون رجلاً او حيات او افاعى تنفث سمها في قلب امراته (١١٨) اي امرأة لها شرف ترتكب الدنيئة وهي معروفة بشخصها ؟ اذن لماذا نهد لها سبيل التنكر . ان خوف العار والفضيحة سبب من الاسباب التي تعصم من السقوط في الرذيلة فلماذا يحرم الرجل المرأة من هذا المعاصم ؟ (١٢٥)

انه ان رأوا وجه امراتك عرفوا اي امرأة هي فلا يحدث التباس بينها وبين السافلات من المحجبات في اية الجماعتين يكمن الخطر في قضاة الشرع والاشراف والادباء الذين تحجب نساءك عنهم او بين ظهرائي الخدم وساقه المركبات والباعة ؟ (١٢٧) لقد طالما حرملك تحجب الزائرات لذة الاجتماع بميالك في السهرات فتذهب لقتل الوقت الى اماكن لا خير فيها قال تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » (١٤٤) والآنسة لاتوافق على الرقص (١٤٩) هيئوا النساء منذ الصغر لاحتمال كوارث الدهر اذا نزلت بهن (١٥٤)

ثم تقول ان آيات الكتاب المتصلة بموضوع السفور والحجاب اربع اثنتان منهما خاصتان بنساء النبي والآخريان بنساء المسلمين . معنى (قرن)

مشتق من الوقار و (التبرج) هو التبختر ثم عرضت تفسير العلماء
للآيات وقالت ان ما ذكر في الاوليتين لا ينطبق علي غير نساء النبي وهما
حاوانا تنسيرا

هذا بض من كل مما يحوى هذا الكتاب العظيم ونحث اقراء على
مطالعة اقوم كتاب اصدرته سيدة شرقية

ع . ع

المرأة في الاسلام

لحامد محمد الشيال

هذا الكتاب عبارة عن ثلاث محاضرات يتغزل المؤلف الفاضل في
مسئل محاضرتة الاولى بمائل المرأة ثم يعرف الحجاب بانه الستر عن غير
المحارم من الرجال خشية الفتن وابتغاء تجنب الفساد ولا يعرف كيف يفرق
بين « انصار السفور » و « دعاة المفسدة » ويقول ببطلان ادعاء هؤلاء
القوم بان الحجاب انتقل الى العرب عن طريق التقاب ثم اتخذه شعاراً دينياً
ويستنتج بانه لقول باطل لا يقوم عليه دليل ثم يعترف بان نساء الاسلام لم
يعرفن الحجاب بادىء ذى بدء ثم نزلت الآية « واذا سالتموهن متاعاً فاسألوهن
من وراء حجاب » وقد اتى بهرمان يعزز رأيه هذا فقال « روى عن أم
سامة قالت كنت عند الرسول وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم
مكتوم فدخل عليه بعد ما أمرنا بالحجاب اذ قال احتجبا منه فقلنا يا رسول
الله أليس أعشى لا يبصرنا قال افعميما أنما السمتا تبصرانه » ثم يقول انه
يفهم من هذا الحديث ضرورة غرض بصر المرأة عن الرجل كما يغرض الرجل
بصره عن المرأة وثانياً وجود الحجاب بين نساء الاسلام ثم سكت ولم يزد
قائلاً « وبين رجال المسلمين » واعتقد أن هذا الاستنتاج ناتج فدامت النساء
يخفين وجوههن خوفاً من أن يفتتن بهن الرجال فواجب منطقياً أن يخفى

الرجال وجوههم حتى لا تمتن بهم النساء وهن ناقصات عقل ودين ويظهر أيضاً أن حجاب تلك الأيام كان كثيفاً جداً لا تحرقه عين المرأة وبالطبع يتعذر معه التنفس والمشى أيضاً فكيف أمكن للسيدات في ذلك الوقت السير في الطرقات ولم تكن معبدة خصوصاً في أيام الزمهرير والقر .

ويسألك إذا كنت تخلو باهراً (وبالطبع يتصد الجميلة لا البشعة المنظر) في حديقة يحوط بها الورود والنرجس ماذا تحدثك به نفسك مهما كنت تقياً ورعاً . ويظهر أن حضرته قد أغفل عمداً ذكر صفة الجمال لأنه يعلم تمام العلم بأنه ليس من لزوميات النساء وحدهن بل يوجد في الذكور من يتصف بهذه الصفة فهل يسمح لي أن أسأله ما الذي تحدثك به نفسك مهما كنت ورعاً تقياً إذا وجدت في ذلك المكان مع صديق جميل المنظر ؟ بالطبع سيقم الدنيا على ويعقدها ويصفني بأحط الأوصاف ولكن هذا هو الواقع يا صديقي إذا أردتني أن أنسج على منوالك وأتناسى وجود شيء اسمه الشرف والترفع فإنا وجدنا فلماذا تعدها من خلال الرجل دون المرأة وإذا لم يوجد فلم لم تحصر الحجاب في الجميل من الجنسين وهل تنكر يا سيدي أن عادة قوم لوط أكثر انتشاراً في بلاد الحجاب من أي مكان آخر ؟

ثم يحاول أن يستدر عن الرغبات السافرات فيقول بأن الفقر قد دفعهن إلى حياة لا يرتضونها فهل حقيقة لا ترتضى الرغبات بحياة السفور التي يرتعن فيها ثم أريد أن ألقى كلمة في أذنك هل صحيح أن انفساد أكثر انتشاراً بين الرغبات السافرات عما هو عليه بين ساكنات مكة والمدينة ولا أقول ساكنات المدن المصرية . سيدي إن الرجل السجين إذا منعت عنه الطعام لا يكون قد تعفف عنه بل بالعكس ففكره دائماً به مشغول فالتعفف هو الذي في مقدوره من الطعام ولكنه لا يفكر فيه أما قناعة أو اقتناعاً . وهكذا يمضي المحاضر الفاضل في مغالطاته إلى نهاية الكتاب على طريقة علماءنا الإعلام فلا فائدة من تفنيدهما يقول لأن الجمال لا يتسع لهذا . وإنني أسديه نصيحة خالصة لوجه الله أن يقتض كتاب السفور والحجاب

لنظيره زين الدين فهي أقدر مني على اقناعه لأنها تعتمد النحو على المنحى
الذى نحاه وليس كلامى المعزز ببراهين علمية قائمة على نظريات علم النفس وعلم
الجمال والمنطق والاجتماع الخ هذه الخرافات التى اقتبستها من الغرب بمقنع
له لاني مهما حاولت لا أجد لما اقوله تربة خصبة فى حجمته . شكراً لك
يا آنسة نظيره فقد عرفت حقيقة بأى لغة تتفاهمين مع طبقة الصالحين
من دعاة الحجاب .

الباب

للسيد جميل صدق الزهاوي

ديوان أشعار مجموعة يقع فى ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير

للسيد الزهاوي شاعر العراق ميزة يمتاز بها على كل شعراء هذا العصر
وهذه الميزة ازدوج فى الأسلوب وحرية الفكر . فهو فى أسلوبه سهل
ممتنع جلى تكاد تسيغ معانيه قبل ان تتم قراءة مقطوعاته الممتعة العميقة
الفكرة . وهو فى حرية الفكرية مثال لما يجب ان يحتذى الشعراء والكتاب .
يتصدى فى شعره للتعبير عما يقوم فى نفسه من المعانى التى لا يجزأ على
المصارحة بها الا فيلسوف مليء تجربة واثقلته السنون ، فهو فى رأيه فى
الخلود والبعث والمادة والله والحياة والموت ، عنوان حي على تحرير الفكر
من التقاليد والاساطير ومثل ناطق على ان الفكرة الصحيحة اذا تمكنت
من النفس واستوعبتها العقلية الناضجة طاوعتها اللغة ولم تبخل عليها
الاساليب بان تجرى معها حيثما جرت وتتبعها اينما سارت ، وفاقت لها
المعانى تنصب كما ينصب الماء الزلال السائغ من منحدر صخري جلاله النмир
على طول السنين والاعوام

والديوان الكبير بين يدي لا أدري اية قطعة منها اختار واياها انخل
بها على القارىء . فالديوان كله قطعة من الفن الرائع واللغة الحلوة الصافية
من كدورة التكلف ، فائض بالمعانى الواسعة ، شامل لكل ما يرضى عقلية

الزمن الحديث . فاذا بحثت عن الطبيعة برزت لك من خلال سطورهِ في حلة تجلوها الالفاظ الممتازة والاسلوب العذب . واذا بحثت عن الحياة صورت لك في صورتها الحقيقية التي لن تجد الحياة الا مصبوبة في قالبها . وما الحياة في نفس الشاعر الذي عرك الدهر وعركه الزمان الا متاعب نهايتها الموت ، وما الحى الا باذل من دمه ومن قوته ما لا يعود عليه بشيء الا الخسران في دنياه . والواقع اننا لا ندرك من الوجود الا شيئين عامين ، هما الطبيعة والحياة ، وفيهما تنحصر كل المظاهر التي يكون الانسان منها مدنيته وعامه ومعرفته وأدبه وفنه . وعلي هذين الشيئين تقع في ديوان للباب فاذا قرأته فانك انما تقرأ الطبيعة والحياة .

وللسيد الزهاوي رباعيات نسجها على منوال رباعيات الخيام فاذا ردت أن تقع على شيء يحقق لك ما ذهبنا اليه في هذه الكلمة فاقراً له قوله :

جديشي اليوم في القدم وفي الاكوان والعدم
وفي الزمان والابداء والاجرام والسدم .

سما ذات ابراج وبحر رب امواج
وارض فوقها قد طال تأويبي وادلجى

فضاء ماله امد يقل حياله العدد
وليس هناك من زمن فلا ازل ولا ابد

هناك جواهر تتحد هناك كهارب تحتشد
هناك قوي بها نجيا فلا روح ولا جسد

هي الاكوان لايم لها الا النحارير

واكثر علمهم عنها اساطير اساطير

ولولا دفع رب الناس بض الناس بالبعض
لدالت دولة الانسا ن وزالت عن الارض

لقد كانت الفتى منهم كما آباؤه كانوا
فقد قال بما قالوا وقد دان بما دانوا

انما الارض لنا وطن مشترك
فيه نحيا اجمعين وفيه نهلك
والديوان باجمعه على هذا النمط من سحر الفكرة وجلال الوضع
وقوة التصوير

ARCHIVE
قبة الربيع

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لابراهيم عبد القادر المازني

مجموعة مقالات ادبية في ٢٢٢ صفحة من القطع الصغير عنى بنشره الاديب الياس افندي
انطون الياس الناصر المعروف بمصر

الكتاب أدبي صرف تستجلي فيه قوة الاسلوب وحسن التعبير وسلامة
السياق . اما قوة التفكير فخير ما يؤديه اسلوب ادبي صرف لا تقع فيه على
أثر للتفكير على الاسلوب العامي . نعم تقع في الكتاب على اسلوب ولكن
لا تقع على شيء من قوة التفكير

من الادباء كتاب لا يخرجون من موضوعهم الذي يعكفون على درسه
الا بجملة من النظريات او بنظرية يحاولون دائما ان يؤيدوها بالدليل والبرهان.
نظرية ينتهي منها بفكرة او مذهب جديد او مبدأ يتخذ قاعدة في درس
لموضوع الذي يكتب عليه . اما الاديب المازني فليس من هذا في شيء

فهو اديب من الطابع الذي لا يعنى بالفكرة بقدر ما يعنى بالصياغة . وما اصدقه اذ يقول

« وكل بما عنده يجود . ! زرعت حبي في ارض صفوان ، وهذا حصادي . وقبضت الريح من كل تعبي تحت الشمس ، ودانذا أؤديها الى القاريء واطلقها عليه كما تلقينها لو يقنع المذل ! وقد خرجت ، كما سيخرج القاريء ، ولما سنخرج جميعاً من هذه الدنيا ، وليس في يدي شيء »

ومن ذا الذي خرج من الدنيا وفي يده شيء . ولكن كثيرين خرجوا منها ومن ورائهم للانسانية تراث لا تهد اركانه الايام

والحقيقة ان الاستاذ المازني قد نبغ في صرف الاسماء على مسمياتها . واذا أردت ان تثبت هذه النظرية فحاول ان تقرأ « قبض الريح » فتكون كأنك تقبض على الريح . ولكنك اذا قرأت حصاد الهشيم ، فانك حقيقة تحصد هشياً الا في موضع واحد هو حيث تكلم في ابن الرومي ، فالحقيقة انه لم يحصد في ذلك هشياً بل حصد ثمراً طيباً ممتعاً

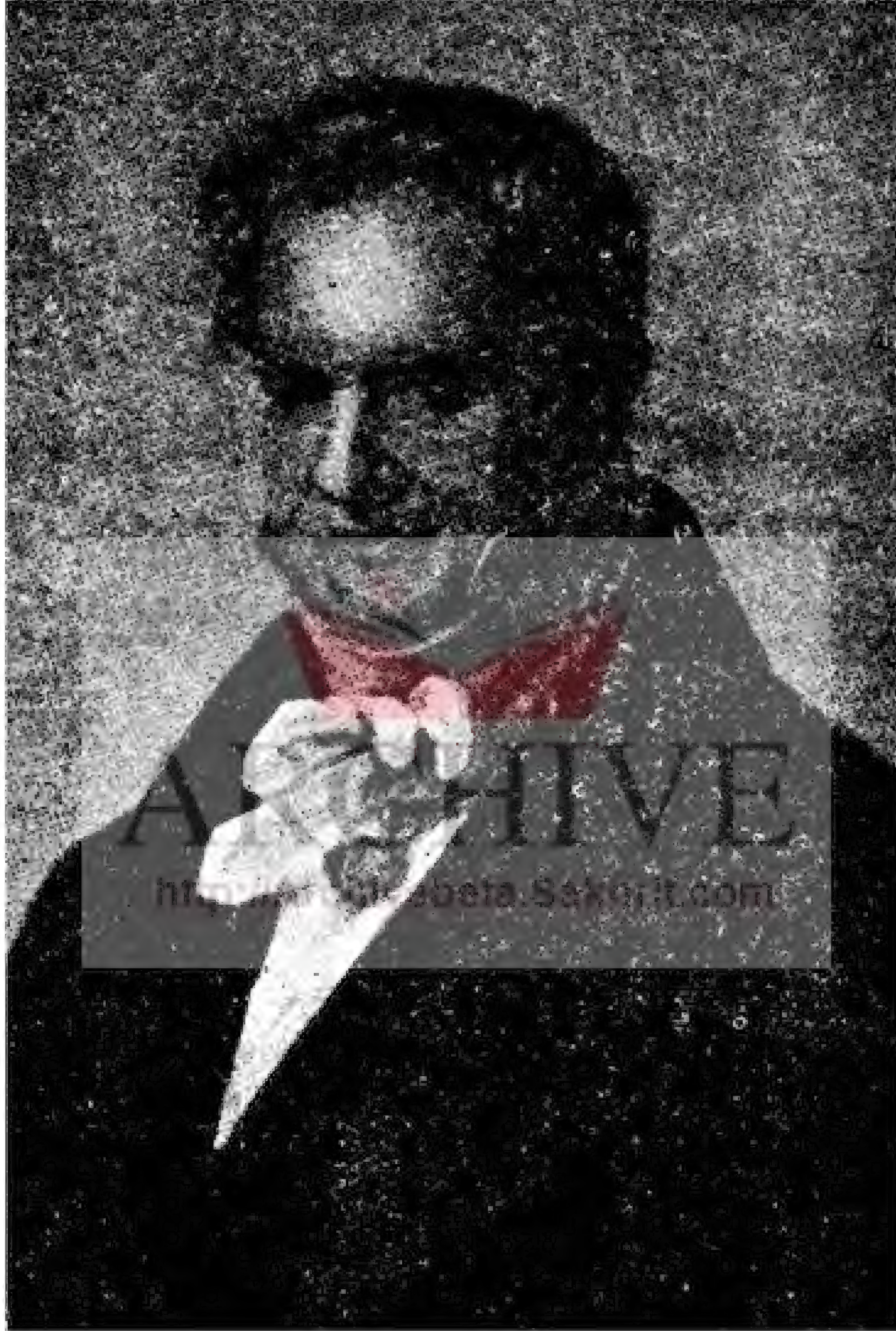
اما ملاحظاتي الكثيرة على الكتاب فالخص للقاريء منها ما يأتي :

- ١ — يشبه الكاتب نفسه بالماجور او القرية (ص ١١)
- ٢ — يكتب دون وعي (ص ١٢)
- ٣ — يحاول ان يكون خفيف الروح ولكنه يحنق اخفاقاً شديداً (ص ١٣)
- ٤ — تخبطات . افكار غير منظمة (ص ١٣)
- ٥ — يكثر من غليظ القول (ص ١٤)
- ٦ — ملاء خمس صفحات ونصف قبل ان يحاول (على زعمه) نقد اسلوب طه حسين (ص ٣٥)

هذه بعض ملاحظات . غير اني ارى ان الاديب الذي يكتب على طريقة المازني لا يستغنى عن هذه الاشياء . فهي ضرورية ليكون من طابع المازني . غير اني ارى ان الكاتب قد يستطيع ان يستغنى عنها ، ولا ينتقص من ادبه شيء ما

أسكندر فون همبولد

humboldt , Friederich heinrich Alexander Von,



البارون فون همبولد (١٧٦٩ — ١٨٥٩) ولد بمد أن كتب العلامة
الالماني المعروف كاسبار فردريك وولف مقاله المعروف من الاجنة بشر
سنوات ومات في السنة التي اظهر فيها العلامة داروين كتابه أصل الأنواع. فكأنه
عاش معظم القرن الذي يدعو فيه الطبيعيون قرن علم الطبيعة الذهبي (١٧٥٩ —
١٨٥٩) وقد توسطه لامارك المعروف اذ اخرج كتابه فلسفة الحيوان في سنة
(١٨٠٩) .

ويعرف همبولد بأنه عالم طبيعي ورحالة كبير . ولد في برلين في ١٤ سبتمبر سنة ١٧٦٩ . وكان أبوه ضابطاً كبيراً في الجيش البروسي ، وينتمي إلى أسرة من « بوميرانيا » ذات حسب ونسب . واشترك أبوه في حرب السنين السبع وكوفيء أزاء إمارته بوظيفة كبيرة في العصر الملكي . وتزوج في سنة ١٧٦٦ من « ماريا إليزابيث فون كولومب » أرملة البارون « فون هولويد » ورزق منها ولدان الاسكندر وفون همبولد أصغرها .

وكان همبولد في صغره ضعيف الجسم والعقل ولم تظهر فيه علامات النجابة مطلقاً . غير أن خصائصه ظهرت آثارها في حياته سريعاً ، إذ كان يغرم كل غرام بجميع النباتات والحشرات والأصناف ويكب على التمعن منها والتغرس فيها طويلاً . ومات أبوه فجأة في سنة ١٧٧٩ ، فترك لعناية أمه فقامت عليه خير قيام وعينت بتربيته واهية الأكبر عناية تامة . وازدادت أن تجمله من رجال السالك السياسي فأكب على الاقتصاد يدرسه حتى أنه في سنة شهر في جامعة فرانكفورت ، وقبل بسد ذلك بسنة واحدة — ٢٥ أبريل سنة ١٧٨٩ — في جامعة « غوتينجن » حيث كان لها شهرة ترجع إلى محاضرات « هيني » و « بلومنباخ » . ولم يكن لينفق إجازاته السنوية عبثاً بل كان يضيها سائحاً إلى شواطئ نهر « الرين » منقباً في الأحياء والأحجار . وكان من وراء ذلك أن نشرت له بضعة مقالات ظهرت فيها نجابته الفائقة وقوة ملاحظته الغريبة . ولقد حملته ميوله إلى الطواف والرحيل على أن يصادق « جورج فورستر » بن زوجة هيني ، وهو من رفقاء كابتن كوك في رحلته الثانية . وعلي الرغم من تنوع دراساته واتساع آفاقها ، فإنه وجهها بكل ما فيه من أمل ويقين لتكوين عدته في المستقبل إذا ما أصبح « رحالة » يبحث في العلم . وهذا ما نال همبولد في سنى حياته . وعلي هذا الأمل درس التجارة واللغات في « همبرج » والجيولوجيا في « فريبرج » علي « فرنر » والتشريح في « يينا » علي « لودر » « والفلك » واستعمال الآلات علي « فون زاخ » « وكوهلر » .

وماتت أمه — في ١٩ نوفمبر سنة ١٧٩٦ — فتخلص من آخر قيد كان يصده عن أن يرضى شهوته في الارتحال والطواف في مجاهل الأرض . وكان تعطيل بعث الكابتن « بودن » وهي رحلة كانت أعدت للطواف حول الأرض ، سبباً في أن يهيم على وجهه في أوروبا باحثاً وراء تحقيق أمله الكبير . فسافر من باريس إلى مرسيليا مصطحباً « إيميه بونلان » صديقه النمروسي الذي كان على أمل أن يصبح حملة فرنسا إلى مصر كعالم نباتي . غير أن وسائل النقل لم تكن متوفرة ، فنقلا إلى « مدريد » عاصمة إسبانيا ، حيث وقعا على ما لم يكن ليخطر لهما على بال ، إذ عضدهما الوزير الأسباني « دوركويجر » على أن يجعلا أمريكا الأسبانية مسرحاً لأبحاثهما واستكشافتهما .

وسافرا في السفينة « بزارو » من « كورانا » في ١٥ يولية سنة ١٧٩٩ فطافا في سفرتهما بتتريف وتسلقاً القمة العليا منه . ووصلا في رحلتهما إلى كوبا ثم إلى جنوب أمريكا وطافا بجنيف الأورينوكو والامازون ، في مجاهل المكسيك وجبال تلك البلاد وهضابها ، ثم عادا إلى أوروبا حيث هبطا ثغر « بوردر » في أغسطس سنة ١٨٠٤ .



يمكن أن يقال بحق أن فون همبولد قد وضع في أثناء رحلته هذه القواعد الأولية التي قام عليها علمين من أشد العلوم الحديثة علاقته بالإنسان ومدنيته ، فقد حصر همه في أكثر الأمور في البحث في الظواهرات التي كونت علمي الجغرافية الطبيعية والارصاد الجوية وقد عكف أول الأمر على البحث في نسبة انخماض الحرارة بنسبة ازدياد الارتفاع عن سطح البحر ، ووضع أثناء بحثه في الأسباب التي تحدث الزواجع الاستوائية ، أول النظريات التي اعتمد عليها فيما بعد للكشف عن السنن الطبيعية التي تحتكم في التقلبات الجوية في الارتفاعات العليا . وعقب على ذلك بمقالة في « جغرافية النباتات » وضعها على الفكرة الحديثة التي قامت على درس استيطان الصور العضوية في سطح الأرض تبعاً لتغاير الحالات الطبيعية المحيطة بها . واستكشف من بعد ذلك قانون ازدياد القوة المغنطيسية في الأرض من القطبين إلى

خط الاستواء وتقدم بهذا الاستكشاف الى الاكاديمية الفرنسية في ٧ ديسمبر سنة ١٨٠٤. أما عمله في الجيولوجيا فقد انحصر في درس البراكين في الدنيا الجديدة وقضى بان البراكين قد تكونت في جموعها الحديثة تبعاً للصدوع التي انابت الارض في عصورها القديمة ، وكانت تختفي تحت قشرتها الظاهرة . ولقد عمد همبولد بمد أن استقر به المقام في العالم المتمدين الى مذكراته الكثيرة وملاحظاته الشتى التي جمعها خلال رحلة يعيد درسها ويكب على تنظيمها ليخرج في رحلته كتاباً وبعد رحلة قصيرة في ايطاليا انتقل الى بلده فقضى فيها سنتين ونيف هبط بعدها باريس سنة ١٨٠٨ واتخذها مقراً لاجائه العلمية ليكون على مقربة من علماءها الاعلام فيستعين بهم على فهم كثير من الحقائق التي جمعها أثناء رحلته . ولقد خيل اليه انه يستطيع ان يتم كتابه الكبير في عامين أو ثلاثة اعوام ، ولكن خاب ظنه فقد أكب على العمل فيه واحد وعشرون سنة ، وبقي بعد ذلك غير كامل .

ولقد انهارت عليه الانقلاب العلمية من كل مكان ، وتناست المجامع العلمية والاكاديميات في ان يكون همبولد في بين أعضائها الشرفيين . ولقد حباه الملك ولیم الثالث بان عينه في وظيفة سامية في بلاطه من غير أن يحمله اعباء القيام برأجباتها وقطعه معاشاً كبيراً ضاعفه بعد قليل . وفي سنة ١٨١٤ رافق ملوك المانيا المحتدين الى لوندرا ، وبعد ذلك بسنوات ثلاث حضر مع ملك بروسيا مؤتمر « إكس لاشابل » ، ثم مؤثر فيرونا ، ثم زار معه مدينتي روما ونايولي وقتل منها ثم الى باريس سنة ١٨٢٣ . وبعد ان توفي اخاه ولهم فون همبولد ، وقد مات بين ذراعيه في سنة ١٨٣٦ غشت ايامه الاخيرة غمامة من الحزن العميق .

والغريب ان همبولد قد اجل نشر كتبه العديدة الى ان بلغ السادسة والسبعين من عمره فان الجزءين الاولين من كتابه « الكون » — cosmos — لم يظهر الا في عامي ١٨٤٥ — ١٨٤٧ ولقد جال في فكره ان يخرج كتاباً يصف به العالم الطبيعي وصفاً نظرياً يقرب حقيقته في العقول ، وايكون وسيلة

يتذرع بها دأرسو الطبيعة استيعاب فكرة عامة فيها قبل الاكباب على درسها ولقد ظلت هذه الفكرة تجول في خاطره نصف قرن من الزمان ، ثم بدأ في تنفيذها بحاضرات اخذ يلقيها في جامعة برلين في شتاء سنة ١٨٢٧ - ١٨٢٨ وكانت هذه المحاضرات الاساس الذي بنى عليه كتابه الكبير « الكون »

ولقد قضى عشرة الاعوام الاخيرة من عمره في انجاز كتابه الكبير الذي تص فيه حوادث رحلته وملاحظاته العامية التي درسها خلالها . فاخرج الجزءين الثالث والرابع بين عامي ١٨٥٠ - ١٨٥٨ ونشر شطراً من الجزء الخامس في سنة ١٨٦٢ . اما هذا الكتاب فعبارة عن موسوعة عامية جمعت من حقائق العلم ومن مرغبات الاكباب عليه ومن اوصاف الطبيعة ، ما جعل للعلوم الطبيعية شأنًا لم يكن لها قبل ان يتفق عمره الطويل المنتج في درسها ووصفها .

في ٢٤ فبراير سنة ١٨٥٧ فوجيء همبولد بأزمة صرعية مرت من غير ان تترك في كيانه اثرًا ظاهراً . ولكن قوته بدأت تنحط في شتاء سنة (١٨٥٨ - ١٨٥٩) وتوفي على اثر ذلك في ٦ مايو في سنة ١٨٥٩ بينما كان العلامة داروين مكباً على اخراج كتابه الخالد اصل الانواع . ولقد كان لوفاته رنة حزن عميقة في نفوس العلماء في كل انحاء العالم المتمدن وامريكا ، ودفن باحتفال حافل كان من اهم مظاهره ان يستقبل ولي عهد روسيا جثمانه حاسر الرأس أمام الكاتدرائية .

ولم يتزوج همبولد في حياته ، إن كانت اخلاقه ورضى صفاته تجعله من ذلك الضرب القليل الذي يجذب اليه القلوب الجامدة بله القلوب الملهمة بحرارة الاتفعال .

واحتفل بمرور مائة سنة علي ميلاده في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٦٩ احتفالاً كبيراً اشترك فيه معاهد العلم وجماعاته في العالمين القدم والحديث .

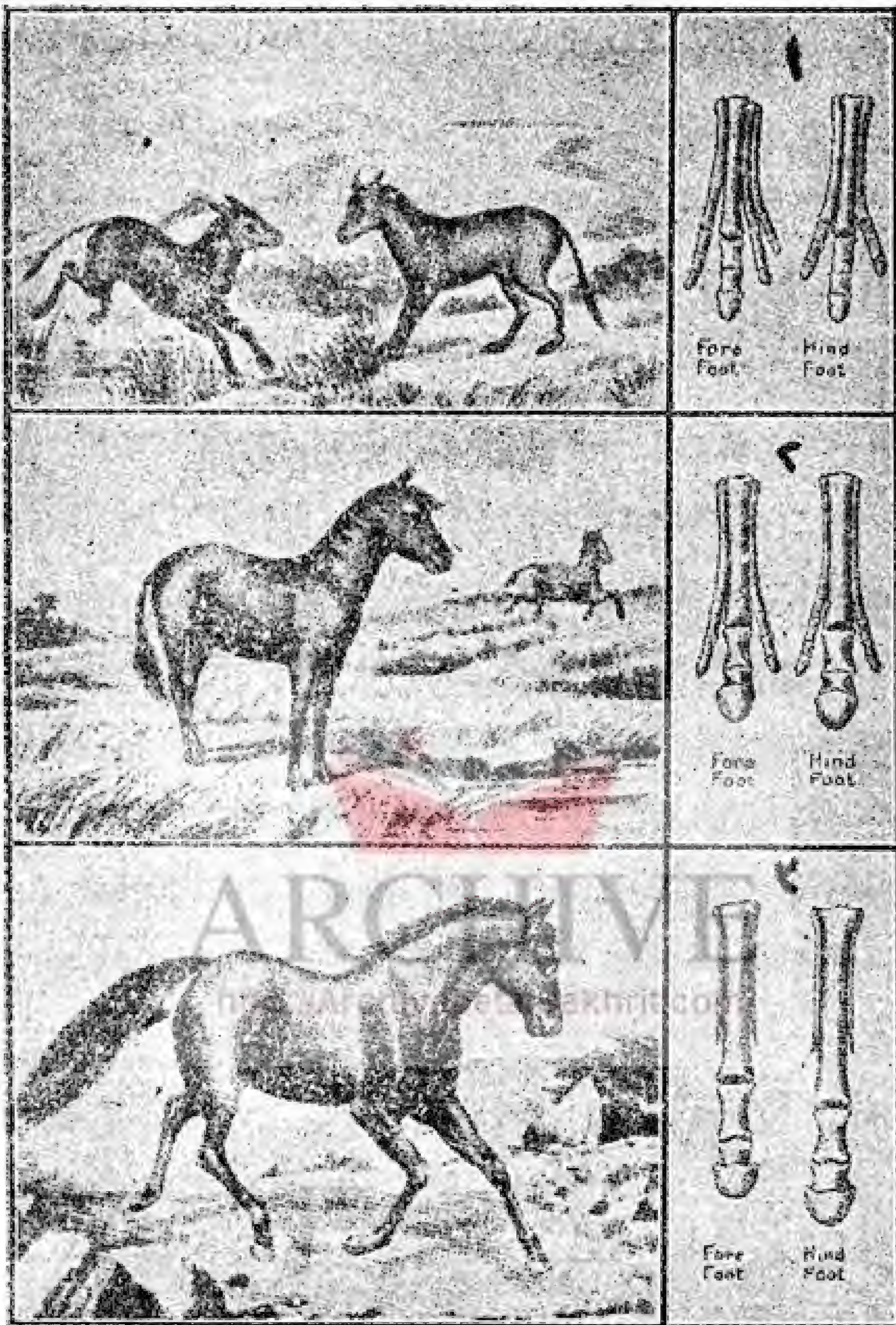
فصول في التاريخ الطبيعي

الحصان : أصل ونشوءه

نشط العلماء بعد أن استتب الأمر لمذهب النشوء بجهود داروين وولاس وهكسلي وسبنسر في إنجلترا وهيكل في ألمانيا يبحثون عن الحلقات التي تربطنا بين الأنواع ببعضها البعض لأن من انكس المعترضات التي عارضها داروين في مذهبه النشوء قول المنتقدين بأنه إذا كانت الأنواع قد شأ بعضها من بعض بالتسلسل ، وجب أن توجد الحلقات التي تربط كل نوع بالآخر على مدى الدهور

ولقد رد داروين على منتقديه في الفصل العاشر من كتابه أصل الأنواع وفي مواضع متفرقة من الفصل السادس وعلى الأخص لدي كلامه في نشوء التنوعات . ولكن الوقوف على بعض الحلقات التي تربط بين الأنواع بالفعل كان من أكبر الشهادات التي أقوت مذهب النشوء في نصابه . وكان العثور على حلقات تربط بين أنواع عليا أبلغ في التدليل على صحة النظرية من العثور على حلقات تربط بين الأنواع كالدنيا كصور الحشرات وغيرها . وزاد إلى هذه النظرية قوة وقوف العلماء على الحلقات التي تربط بين المراتب الكبرى في النظام الحيواني ، مثل الحلقات التي تربط بين المراتب والطيور ، وبين الأسماك والزواحف ، وبين الفقارية وذوات الثدي . ولا جرم أن الباحثين قد عثروا ببرهان جديد يؤيد مذهب النشوء عند ما عثروا على الحلقات التي تربط بين الحصان وبين أصل أولى منقرض عنه نشأ

ففي مباحث التاريخ الطبيعي يعتبر الحصان والحمار العادي وحمار الزرد Tebra — أعضاء فصيلة واحدة من أكبر فصائل ذوات الثدي ، لأنها الفصيلة الوحيدة التي تمتاز بأن لارجلها اصبع واحد هو ما نعرفه عادة بالظلف وذوات الأظلاف كثيرة الصور .



نشوء الحصان

(١) الصورة الأولى تمثل الايوهيبو Eohippus وكان في حجم الثعلب من ذوات الاربع وله ثلاثة أصابع (٢) تمثل الميوهيبوس Miohippus وكان له ثلاثة أصابع منها اثنان وهما الجبائيان أكثر وضوحاً من أصابع الاول (٣) الحصان وفيه يظهر كيف انضمر اصبعان وبقي الاوسط وفيه انظف العادى المعروف لنا .

ولكن هذه التفصيلة تمتاز بأن ظلفها موحد غير مكثّر . وهذه الحيوانات تخص بالمقام في مجاهل افريقية وغربي آسيا غير أنها اخذت تنتشر الآن في اوروبا والجزر البريطانية

وما عثر عليه من الحلقات التي تثبت تطور هذه الفصيلة عن حيوانات متقرضة ، عاش خلال العصر الثلاثي - Tertiary - من العصور الجيولوجية وهو أقرب عصر جيولوجي لعصرنا الذي نعيش فيه - Quaternary - والحلقات التي عثر عليها تدل على تطور تدرجى طرأ على الصور الأصلية : غير أن الاغرب من هذا ان الباحثين قد عثروا في شمال امريكا وجنوبها حيث نشاء صنف خاص من الخيل ، على حيوان حفري عاش إلى حدود العصر الجليدي الأخير . ثم انقرض فجأة من الحياة . ولما مر العصر الجليدي بما احدث في صور الاحياء من احداث يعرفها علماء الحفريات واستعمر الاسبانينيون امريكا نقلوا معهم بعض الخيل فتكاثرت هنالك تكاثراً كبيراً وبلغ عددها من زمان قصير عدداً لا يتصوره الوهم .

والاغرب من كل هذا أن الصور الحفرية التي هي اسلاف نوع الخيل قد عثر بها في امريكا واوروبا على السواء مع بعض الفوارق القليلة التي تختص بها الصور التي وجدت في كلتا القارتين . وهذه الشواهد تدل على ان شمال المحيط الاطلانطي كان متصلاً باوروبا من طريق آسيا وان هذا الاتصال ظل قائماً الى عهد قريب قبل أن يتصدع وان المهاجرة من امريكا الى اوروبا ومن هذه الى امريكا كان يقع في احيان كثيرة

ويصعب علينا أن نقضى بحكم في نشوء الحصان الحالي وهل كان في امريكا أم في أوروبا . ففي كليهما عثر على بئايا حيوان كان في حجم الثعلب المعروف ، وتدل كل ظواهره الحيوانية على أنه الاصل الذي نشأ عنه نوع الخيل في العصور الحديثة . ويقول اكثر الباحثين أن النوعين الاصلين الامريكي والاوربي قد تلاقحا واندجما في أواخر العصر الجيولوجي الثالث لان ذلك النوع كان خفيف الحركة محباً للهجرة والتجوال .

وأشهر من كتب في هذا الموضوع كاتبة امريكية تدعى « شارلوت بركنس غلمان » بحثت هذا الموضوع اطلت بحث وأمتعته

الزولوجيا

أو

مبادئ علم الحيوان

— ٨ —

إذا تركنا المخلوقات التي نصرف عليها عادة اسم « الديدان » - worms - ننقل الى عالم من المخلوقات أكثر منها رقياً ؛ فانا ولا شك نبدأ بتلك الحيوانات التي تصرف عليها عادة اسم « الارثرو بودا » - Arthropoda - اصطلاحاً . وقد ندعوها في العربية ترجمة « ذوات الارجل المفصليّة » لان حيوانات هذا الجذع تشابه في كثير من صورتها العامة حيوانات « الانيليدا » - الديدان الحلقيّة - التي سبق أن تكلمنا فيها من قبل . فان أجسام هذه الحيوانات تتركب من حلقات بعضها متصل ببعض في حلقات أودواثر تدعى اصطلاحاً - somites - اما جهازها العصبي فمشابه كل المشابهة للجهاز العصبي الذي تختص به « الانيليدا » اذ يتكون من مخ - Brain - وعصب طوقى - nerve collar - ووتر عصبي باطن Ventral nerve-cord . اما أخص صفات هذه الحيوانات فوجود طبقة سطحية صلبة على ظاهر أجسامها تدعى اصطلاحاً - Cuticle - أى البشرة القرنية ؛ تحدث بافرازات تخرجها خلايا الجلد الخارجى . ونعترف « الانيليدا » على بشرة تشابه هذه البشرة ، غير انها تكاد تكون جلاثينية غير صلبة . اما في الارثرو بودا فتكون سميكة صلبة ، تشابه درعا قويا يحميها من الطوارئ . فاذا نما الحيوان في الحجم نبت هذه البشرة القرنية مرة أخرى ، ثم تعود الى التكون مرة بعد مرة . وهذه العملية تدعى « التبديل » Moulting

واصطلاحاً - Ecclysis - وهي تقع بين الارثر وبودا أكثر مما تقع بين النيماتودا - لان هذه البشرة في الحيوانات الاولى أقل مرونة منها في الثانية وقد شرحنا لدى الكلام في النيماتودا هذه الظاهرة وبمحسن لنا أن ننقل هنا ما كتبنا من قبل :

« وهذه البشرة Cuticie كثيرة المرونة - في النيماتودا - فعندما يبتدىء الحيوان الصغير في النمو من حيث الطول اذ يمتد مع امتداد جسمه ، غير ان لمرونتها حداً تقف عنده فقد يحدث في بعض الحالات أن تنفجر هذه البشرة وتلقى بعيداً ، عندما يأخذ الحيوان في النماء من حيث الطول سريعاً ، ومن ثم يعضى في تـكوين « ثوب » آخر يتجدد بتجدد الافراز »

اما حركة الحيوان ، وهو مظروف في مثل هذا الدرع الصلب ، فتتم بواسطة لفائف تصل بين اجزاء البشرة وتجعلها مرنة بعض المرونة ، وتكون لاجزاء البشرة بمثابة « المفصلات » لفلق الباب ، وتسمى هذه اللفائف المرنه اصطلاحاً « الاغشية الارثروبودية » Arthropoidal membranes كما تسمى الاجزاء الصلبة اصطلاحاً Sclerites ويجوز أن تدعوها في العربية « الشاليل »

وتختلف الاطراف التي تنبت من جانب الحلقات الجسمية قلة وكثرة وهذه الاطراف تكون مزدوجة دائماً قلت ام كثرت . اما طريقة الحركة في هذه الحيوانات فتختلف عنها في « الأنيليدا » ، ووفق ما تدعى به حركة « الآرثروبوديات » علمياً هي ان تدعو حركتها « بالحركة التجديفية » Rowing اذا كانت من الانواع المائية « و بالحركة الانتقالية » اذا كانت من الانواع الارضية . وبعض هذه الاطراف اذ تكون قريبة من الفم تكون مهية لتفتيت الطعام ، فتدعى Gnathites اي الافك Jaws

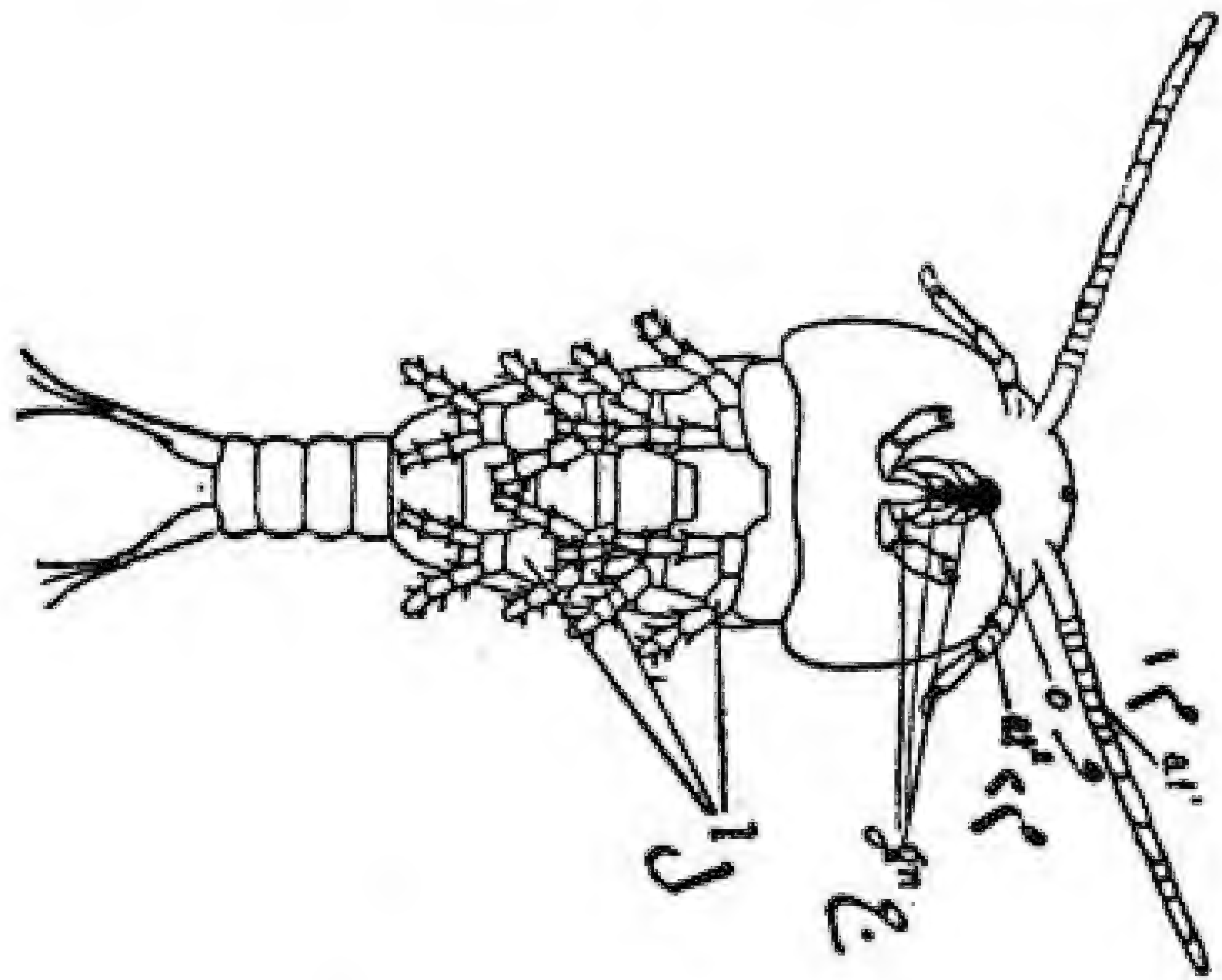
وبين الانيليدا والارثروبودا فرق فزيولوجي كبير لا يجب ان يغفل عنه مطلقاً . فان الفجوة الجسمية الثانوية في الارثروبودا تدعى اصطلاحاً coelom تكون صغيرة منضمة ، في حين ان الفجوة الجسمية الاولى Primary body-cavity تكون

كبيرة ممتدة في سلسلة من الفجوات .

على أن الفجوة الجسيمة الثانوية تكون كبيرة في صفار هذه الحيوانات .
اذ تكون في طورها الجنيني ولكن اذا كبرت واخذت اعضاءها في النشوء تعطل
النماء في هذه الفجوة وعجزت عن ان تلحق ببقية اعضاء الجسم من حيث النمو
فتكون في الحيوان البالغ عبارة عن فجوات شبيهة باكياس صغيرة تنبت
على جدرانها الخلايا التناسلية

ان الارثر وبودا من الجدوع الهامة في علم الحيوان ، وتحتوى نصف مليون
نوع على وجه التقريب ، وصفها علماء الحيوان كلها امتع وصف وأدقه على أن لهذه
الحيوانات من الأثر في تحديد الحياة الانسانية على الأرض أكثر مما لكل
الجدوع الأخرى . فاذا تركنا الاقسام الدنيا منها رأينا ان العلماء يتسمونها
الى ثلاثة اقسام كبرى :

اولا — الكراساسيا Crustacea او الحيوانات القشرية وكلها على وجه
التقريب من الحيوانات المائية . وفي هذه الحيوانات يتحول الزوجان الأولان
من الاطراف التي تستوى بالتقرب من الفم الى ملاس هشة ، وأما الزوجان اللذان
يليانهما ، وغيرهما في بعض الاحيان ، فيكونان فكاً كاتفت الطعام وتروده الحيوان .



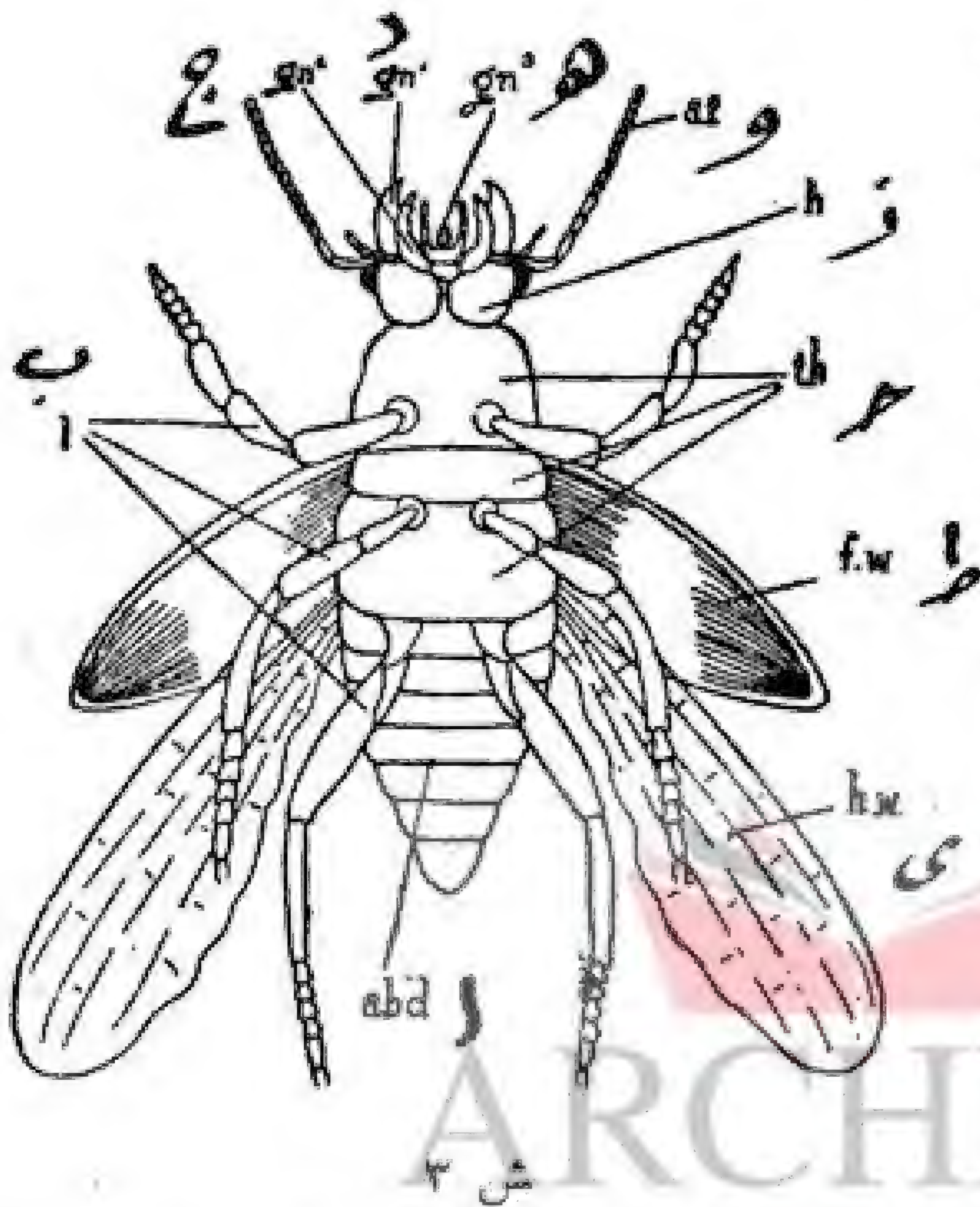
ش ١
هامة الماء كمثل للحيوانات القشرية بظهوره من
أسفل (م ١) الملمسة الأولى (م ٢) الملمسة الثانية
(ج) الافكاه (ل) الأرجل (و) الفم

ثانياً — الاركنيدا — Arachindae — أى «العنكبوتية» فى الاصطلاح العربى وفيه تجد أن الزوج الاول فى الاطراف قدهي، ليكون مخالب تدعى اصطلاحاً فى اللسان الحيوانى — chelicerae — ولا يوجد فى مقدم الفم من الاطراف غير هذا الزوج وحده . اما أزواج الاطراف التى تلى فيما بعد فقد تكون عريضة لدى قواعدها ، أى عند اتصالها بالجسم ، وتزداد خشونة لتساعد على تفتيت الطعام ، ولكنها تستعمل أيضاً للحركة وأكثر أنواع « الاركنيدا » من الحيوانات الارضية ، غير أن بعض أنواعها ذات عادات مائية تستحق العجب .



ثالثاً — الحشرات — أو اصطلاحاً الانسيكتا — Insecta — وليس للحشرات الا زوج واحد من الاطراف فى مقدم الفم ، هيئتها تكون ملائمة لاغير . ثم ثلاثة أزواج من الاطراف قد انقلبت الى أفكاك . اما الجزء الذى تعلق به الملائس والافكاك فيسمى الرأس Head ومن بعده جزء قابل للحركة يدعى Neck اصطلاحاً أى الرقبة وبعد الرقبة جزء من الجسم تعلق به ثلاثة أزواج من الاطراف تستعمل للحركة والتنقل . ويدعى هذا الجزء من الجسم اصطلاحاً Thorax أى « التجويف الصدرى » وهو يتكون من ثلاثة « فصوص »

اما القسمان الثانى والثالث من هذه الاقسام ؛ فينبت لها في ظاهر جسمها « زوائد » مسطحة تستعمل للطيران وتدهى « الاجنحة » wings اصطلاحا .



ومن بعد التجويف الصدرى يقع جزء من الجسم يتكون من تسعة أو عشرة فصول ولا زوائد فيه يدعى اصطلاحا « الامعاء »

abdomen

ان كلمة « انسكت » Musca

التي ندعوها في العربية حشرة ،

تدل في الاصل على معنى « القطع في شىء » وهذا يشير الى الاقسام الثلاثة التى ينقسم اليها الجسم في الحشرات .

خنافس . متطورة في أسفل كمثل للحشرات « و »

والحشرات تتنفس بواسطة انابيب زوج الملامس « ١ » الامعاء ط . الجناح المقدم . ج ، د ، هـ . ثلاثة أزواج من الافكاك . ي . الجناح المؤخر . ذ . الرأس . ب . أرجل المشى . ح

air tubes: تتشعب من داخل التجويف الصدرى

أجسامها والحشرات تعيش في الهواء كما تعيش في داخل الارض . اما أنواعها القليلة التى تعيش في الماء فتحمل معها أنابيبها الهوائية ، وهناك تكون حياتها أشبه بحياة الحيوانات الغائصة لا الحيوانات المائية بطبيعتها كلاسماك .

وفصيلة الحشرات تتضمن كثيراً من الصدر كالذباب والخنافس والنمل والنحل والزنابير والفراش والبق والجراد والعث والنطاط . اما العناكب والسوس ، فعلى الرغم من انها تدعى عادة حشرات ؛ فانها لدى الواقع من الاركنيدا ؛ لامن الانسيكتا .

الاستكشاف القطبي

نبذة من تاريخه وآخر حوادثه

كان للاستكشاف الجغرافي أثر كبير في تغيير أساليب الفكر والقضاء على
الآوهام التي شاعت في القرون الوسطى وكانت أكبر سنادة للكنيسة في بث
تعاليمها المعروفة . ولقد كان جهل الناس حقيقة موطنهم الأصلي سبباً في أن
يتقبل الناس أقاصيص المبشرين بحسن نية . فلما أن فتح الرواد في حدود
العصور الحديثة باستكشافهم أقطار الأرض رجع الناس شيئاً فشيئاً عن الاعتقاد
بالآوهام التي بثها في روعهم رؤساء الدين وأخذوا للحقائق الكونية كما أراد الله
أن تكون ، لا كما أراد أهل الدين أن تكون تصوراً من مخيلات أذهانهم .

ولما خلاص الرواد من استكشاف البقاع المأهولة من كرة الأرض وجهوا
بأنظارهم إلى الأصماع غير المأهولة فارتادوها وقطعوا مجاهل القارات الكبرى
والصحارى التي هي أشبه بالرمضاء صيفاً وبالزمهرير شتاءً . ومن ثم رجعوا إلى
الأقطار الجليدية يرتادونها وليس لهم من قصد إلا البحث العلمي الصرف ، لأنها
بقاع لا تستعمر ولا ينتفع بها مادياً . فمن أجل العلم ماضحوا ومن أجل البحث
ما انفقوا من مال ومتاع وأتعبوا .

ولقد كان لنكبة المنطاد ايطاليا أخيراً وهو الذي استقله الجنرال نوبيلي
ورفاقه ، ومنهم الأستاذ ماجرن السويدي المعروف ، صدى تجاوبت به أنحاء
العالم وقامت قيامة الصحافة في أطراف الدنيا تطالب بعمل تحقيق يتناول أسباب
النكبة ومن المسؤول عنها ، وعما وقع لبعض رفاق نوبيلي بعد أن تحطم منطاده
بالفعل . وقد قيل بأن مهندس الجهاز اللاسلكي لم يكن واقفاً على أسراره مهنته بقدر
كاف وقيل بأن بعض الإيطاليين الذين هبطوا على الجليد مع ماجرن قد تركوه
بغير عناية بعد أن كسرت ساقه عرضة للموت والآلام الشديدة . بل تطرفت

بعض الجرائد الى القول بأنه قتل بالفعل وأتخذت بعض أجزاء جسمه طعاما .
ولقد هرع عند وصول الاخبار بنسبة المنطاد كثير من كبار الرواد لنجدة
المنكوبين وكان الرحالة المشهور أمندسن أول من هب للنجدة على الرغم عما كان
بينه وبين نوبيل من حفيظة ، فقتضى شهيد الواجب ، بل قضى حيث كان يجب
أن يتقضى نحيبه بين الثالوج التي أحبها واستكشف أرجاءها الفضية ، فكان الجليد
قد انتقم ممن فضح أسرارها الابدية ، كما انتقم الملك المصرى توت عنخ آمون
ممن كان سببا في انتهاك حرمة المقدسة .

ولقد أعادت هذه الحوادث على أذهاننا ذكريات أربعة من رواد المجاهل
القطبية كان آخرهم من الاحياء أمندسن وقد لحق بمن سبقه من الابطال . لهذا
إردنا أن نتكلم في أربعة من أبطال الارتداد القطبي فان في تاريخهم عظة كبرى
وفي سيرتهم مثالا أعلى لما يمكن أن تبلغ اليه الصفات الانسانية من صبر واحتمال .
ويحسن بنا أن نأتى بطرف موجز في سيرة الدكتور ماجرن لنعرف مقدار
مصيبة العلم فيه . « كان الدكتور في ماجرين العالم السويدي النابه في علم الأجواء
(المتيورولوجيا) اجد ثلاثة ممن حاولوا بعد نكبة السفينة الجوية (ايطاليا)
الوصول الى منطقة الارض الشمالية الشرقية مشيا على الاقدام وان قصة مما
صحيفة من انبل صحائف الاكتشاف القطبي .

كان الدكتور ماجرين شابا لم يزد عمره على الثلاثين والتحق كعالم بعلم الأجواء
في بعثتين قطبيتين قبل ذلك ومما حفزه الى التعمق في دراسة العلوم الطبيعية
اتصاله بالاستاذ هامبرج في مرصد بورثيا كو حيث كان مساعدا له وفي سنة ١٩٢٢
التحق ببعثة اموندسن على ظهر الباخرة « مود » وكانت في بداية المرحلة الثانية في
الكشف عن الحوض القطبي الشمالى . وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاث سنوات
اذ عبرت الباخرة « مود » مضيق بيرنج سنة ١٩٢٥ وفي خلال هذه السنوات
الثلاث كان الفقيه يواصل دراساته على ظهر الباخرة حتى انه عند رجوعه

درجة « استاذ في العلوم » ثم الدكتوراه وفي العام التالي اشترك في الطيران فوق حوض القطب الشمالى فى السفينة الهوائية « نورج » وكتب فصلا في « الجو والتنبؤ به اثناء الطيران صوب القطب » فى الوصف الرسمى لأعمال البعثة الذى كتبه اموندسن والسورث

وفى هذا العام عين محاضرا وامينا لقسم التاريخ الطبيعى فى كلية فاسما نلندر (التابعة) لكلية ايسلانا ولما عرض عليه الجنرال نوبلى الالتحاق ببعثة « ايطاليا » كخبير فى الاجواء قبل هذا العرض عن طيب خاطر رغم كل اعتبارات أخرى

الكابتن سكوت



ش ١
الكابتن سكوت

غادر الكابتن سكوت ورفاقه لندن فى أول يونية سنة ١٩١٠ ووجهتم انقطب الجنوبي ولكن اخبارهم انقطعت عن العالم المتحدين فى اوائل سنة ١٩١٢ ، وبقيت اخبارهم غير معروفة حتى غادت السفينة التى اقلتهم الى البقاع الجليدية الى نيوزيلاندا وكانت تدعى الارض الجديدة « تيرانوفا » .

وقد انقسمت بعثة سكوت عند وصولها الى اول الاصتاع الجليدية الى ثلاث فرق وعينت الفرقة العلمية بعملها واكبت عليه مناول وصولها الى

تلك الاصقاع ، فاكب العلماء والخبراء الذين رافقوا سكوت على تدوين الارصاد

ومعرفة المغنطيسية الارضية في تلك الاصقاع ودرس طبائع الطيور والحيوانات والجراثيم والحيوانات الدوارة التي تعيش في الجليد .

واخذ سكوت يتقدم نحو القطب في شهر نوفمبر سنة ١٩٢١ - ولكن دوابه ماتت فتأخر عن التقدم شهراً آخر . ثم عاد يتقدم الى القطب غير مبال بالاهوال والشدائد فبلغ في ١٨ يناير سنة ١٩١٢ وكان معه اربعة من رفاقه هم دكتور ويلسون والكبتن أووتس والملازم بورز والضابط البحري ادغر القيانس . ثم تقلوا راجعين الى مراكزهم الاولى فعانوا من الشدائد ما لا يبلغ اليه وصف ، فصيب ايفانس بارتجاج الدماغ ومات ، ومرض أووتس وقل لديهم الوقود . وفي ١٦ مارس بينما كان الرفاق الأربعة جالسين تحت كهف من الثلج وبينهم أووتس مريضاً وقد رأى نفسه انه أصبح عالقة على رفاقه تقدم نحو هاوية من الثلج عميقة الغور ووقف على حافتها ورفقاؤه ينظرون اليه من غير أن يتنبه منهم احد الى غرضه ، ثم التفت اليهم وقال « استودعكم الله » ثم التى بنفسه في الهاوية ليخلص رفاقه من ثقل حملهم والعناية به . وهذا مثل من التضحية لا يعرفه الا رجال آمنوا بغرضهم في الحياة ايماناً كبيراً .

وواصل سكوت ومعه دكتور ويلسون وبورز حتى أصبحوا على بعد احد عشر ميلاً من مركزهم العام ولكن الزمهرير اشتد عليهم فتعذر عليهم أن يتقدموا خطوة واحدة ولم يكن معهم من الزاد الا ما يقوتهم يومين اثنين لا غير . وكان قد خرج من المركز العمومي بعض اعضاء البعثة يبحثون عن سكوت ورفاقه والظاهر أنهم اقتربوا منهم كثيراً ولكن شاء القدر أن لا يهرب سكوت ورفاقه من يد الموت ، فاجؤا الى كهف ينتظرون الموت . وظل سكوت يرقب الموت يسرى في مفاصل رفاقه ، فلما مات اوها زم عليه اريدته وخاطبها عليه ، ولما مات الثاني فعل به كما فعل برفيقه ، وظل ينتظر الموت وحده ، ثم فكر في ان يكتب رسالة الى الامة الانجائزية وقد وجدت بجانب جثته قتال فيها :

« ان فشائنا لم يكن لاننا اخطأنا في تدبير امورنا ، بل لانه نزلت بنا نوازل لم تكن منتظرة

فالولا — فتمدنا دواب النقل في مارس سنة ١٩١١ فاضطرت ان أؤخر سفرنا وان اقلل المؤنة التي اخذناها معنا

وثانياً — اشتد البرد وثار العواطف كل مدة السفر ولا سيما حينما كنا عند الدرجة ٨٣ وثالثاً — وجدنا الثلج رخفاً ليناً قابضاً سيرنا عليه .

« وقد قاومنا هذه العوائق بهمة ونشاط وتغلبنا عليها ولكنها قلت مؤونتنا ولولا مصيبة أخرى حلت بنا لوصلنا الى القطب ورجعنا منه ومعنا زاد كلف لاننا كنا قد استعدنا لهذه الطوارئ . اما المصيبة فهي مرض الرجل الذي كنا نحسبه اقوى منا كلنا واصبرنا على المشقة وهو إدغرايفانس . وكان امامنا نهر الجليد المسمى « بيرومور » وعبره قليل الصعوبة في الصحو ولكنها لم تصح يوماً واحداً في رجوعنا ومعنا رجل مريض نضطر الى حمله ، فانه وقع واصيب بارتجاج الدماغ ثم مات بعد أن هد حيلنا ، وتركنا وفصل الزواجع قد أدركنا ولكن ذلك كله لم يكن شيئاً مذكوراً بجانب ما وجدناه مخبوء لنا . فما من مخلوق كان يظن اننا نصادف البرد الذي صادفنا في هذا الفصل من السنة ، فمد كانت درجته ٢٠ الى ٣٠ تحت الصفر بين عرض ٨٥ و ٨٦ ولكننا لما رجعنا الى العرض ٨٢ وفي مكان من الأول ١٠٠٠ ردم رأينا ٣٠ تحت الصفر نهراً و ٤٧ تحت الصفر ليلاً والريح تعصف في وجوهنا صرصراً مستمراً ثم قال

« حقاً لقد جازت ملأ من الزمان حدودها واستنزفت آفاته مجهودها

لقد ركبنا الاخطار عن طيب نفس فجاءت التقادير على غير ما انتظرنا فلا نشكو من احد ولا نلوم احداً بل نسلم انفسنا للاقدار عازمين أن نبذل جهدنا الى النهاية

« ولكن ان كنا قد خاطرنا بانفسنا لاجل شرف وطننا فاننا نتوقع من ابناء

الوطن ان يعتنوا بالذين تركناهم وراءنا وليس لهم واجباً سوانا
 «واذا فسح لنا في الاجل فعندى كلام كثير في وصف شجاعة رفاقي وصبرهم
 وتحملهم المشاق - كلام يثير النخوة في صدر كل ابناء وطني واكن هذه السطور
 وجئتنا المساعدة ستعبر خبرنا ويقتني تام في أن بلادنا عظيمة غنية مثل بلادنا
 تعني بالذين تركناهم في ميوتنا

سكوت

امندصن

وصل امندصن ورجاله في رحلته الى القطب الجنوبي الى ارض مرتفعة تبلغ
 قمتها ١٠٧٥٠ قدماً فوق سطح البحر في ٦ ديسمبر سنة ١٩١١ وكان ذلك درجة
 ٨٧ و ١٤ دقيقة عرضاً . وفي ٩ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٣٩ من العرض



ش ٢
 امندصن

الجنوبي ، فكان بينهم وبين القطب
 درجة واحدة و ٢١ دقيقة وفي ١٢ ديسمبر
 بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٤٥ وفي يوم
 ١٤ بلغوا القطب نفسه وكانت درجة
 الحرارة ٢٣ تحت الصفر . وانقطب سهل
 مرتفع فسمح جداً . وفي ١٥ ديسمبر
 سنة ١٩١١ رصدوا ارساداً كثيرة
 فوجدوا أنهم على الدرجة ٨٩ والدقيقة
 ٥٥ فمشوا تسعة كيلو مترات اخرى
 ليكنوا قد اجتازوا القطب فعلاً .

وفي (مايو) سنة ١٩٢٥
 استكشف القطب الشمالى بالطيارة
 بعد استعداد لهذه الرحلة الكبيرة

ظل عدة سنوات . ولما نكب المنطاد ايطاليا كان امندصن أول من فزع للنجدة

ولكنه فقد ولم يعرف مقره حتى اليوم والظن الغالب انه مات في الاقطار الشمالية المتجمدة ولا شك في انه اكبر رائد للقطين في هذا العصر

سيرارنست شكاتن



حاول الرواد استكشاف القطب الشمالى منذ سنة / ١٨٤٠ اذ حاول السرجون في فرنكاين أن يكشف طريقاً بحرياً الى آسيا من الشمال الغربى ، ولكنه مات دون غرضه هو وجميع رجائه الذين رافقوه في رحلته هذه . وتوالت بعد ذلك بعثات الاستكشاف وكل بعثة منها تقرب من القطب خطوة ابعد من الخطوة التى باقتها سابقتها . فان سيرفر نكاين مات وهو من القطب على بعد ١٣٢٥ ميل . وكان آخر

ش ٣
شكاتن

من استكشف القطب في سنة ١٩٠٩ سير شكاتون فوصل الى ابعد ما وصلت اليه البعثات القطبية اذ كان على بعد ١١١ ميل من القطب

القومندور بيرى

هو مستكشف القطب الشمالى ، اى أول من بلغ اليه من راود الجليد . ولد في ولاية بنسلفانيا بامريكا في ٦ مايو سنة ١٨٨١ وتخرج من كلية



بودين سنة ١٨٧٧ ثم عاون في مسح بحيرة نيكاراغوى بامريكا الوسطى ، ثم اصبحت رئيساً لبعث مساحة تلك الاصقاع سنة ١٨٨٧ ورحل بعد ذلك رحلات عديدة وكان محبباً للمخاطرة مغرمًا بالاستكشاف فبعد ان قفل من سياحته الى انجلترا أعد العدة لرحلة قطبية حتى اتىها واقبل من ميناء نيويورك في ١٦ يناير سنة ١٩٠٥ ومعه من المؤونة مايكثنيه وصحبه حواين

كاملين . ومازال يضرب في مجاهل تلك الاصقاع الجليدية حتى وصل

ش
بيرى بميس القطب

في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٦ الدرجة ٨٧ والدقيقة ٦ من العرض الشمالى وهو اقصى ما بلغه انسان من شمال الكرة الأرضية . ولكنه عاد بعد ذلك الى امريكا من غير أن يصل الى القطب .

ثم عاود الكرة مرة اخرى سنة ١٩٠٨ فاستقل سفينته « رزوفات » وكان معه ستة من رفاقه ، وأخذت المؤونة تقل شيئاً فشيئاً فكان يعيد رجاله واحداً بعد الآخر الى مركز الرحلة خوف أن يموتوا جوعاً ولما وصل الدرجة ٨٧ والدقيقة ٤٨ من العرض الشمالى بقى معه الكبتن بارتلت ، فاضطر الى ارجاعه أيضاً . وسار بيرى يصحبه خادمه الاسود واربعة من الاسكياء بين يواجهون المصاعب وينذلون المشاق حتى بلغوا القطب في ٦ ابريل سنة ١٩٠٩ .

ثم عاد ادراجه وصحبه افراد بعثته الى امريكا فوصلوها في آواخر سنة ١٩٠٩ سالمين لم يصب احد منهم بسوء .

بين الصحف والمجلات

حول الأسلوب العربي

محنة الحديث العدد السابع من السنة الثانية تحت عنوان (سلامة موسى . بين خصومه وأنصاره) .

جرت العصور على طريقة من النقد لم ترض الكثيرين من الكتاب والاساتذة على الآخر . وما يعنيننا من شيء رضا أم غضبوا مادامنا نرضى ضميرنا ونقول ما نعتقد لا فرق عندنا بين صديق وغير صديق . وتناولت العصور فيما تناولت بالنقد بعض أشياء نشرها الأستاذ سلامة موسى الذي لا يمكن بحال أن نحاول أن نغمطه حقه أو ننكر جهوده في سبيل العلم والادب . غير أن هذا لا يصرفنا مطلقاً عن أن ننقده ونقول بأن أسلوبه عامي ، والحقيقة أنه عامي الأسلوب لا تجري ديباجته على ما تتطلب أساليب العربية المنتقاة ، ليكون أسلوبه عربياً . ما رمينا الأستاذ سلامة بعد ذلك بالجهل ولا وصفناه بالعمى ولا بشيء مما يجري على أقلام الكتاب عادة . وما لبثنا على ذلك غير قليل حتى قرأنا في « الحديث » خطاباً أرسله الأستاذ سلامة إلى الأستاذ المغربي يعرض فيه بالعصور ومحررها ويقول بأن كتبه تقرأ بالآلاف ومئات الآلاف . على أن هذا ان صح لا يغير من رأينا في أسلوبه شيئاً . وهنا نذكر أيضاً أنه أسلوب عامي ليس فيه من الأساليب العربية عين ولا أثر . على أنه يكفي لأن ينقل لك في كتابات عربية وجهل تتركب من الفاظ عربية فكرة تجول في رأس صاحبها : وماذا يعنيني إذا كان الأستاذ سلامة موسى قد تربى في إنجلترا أو في بلاد الواقع ليكون لهذا الأمر عندى أقل اعتبار في الحكم على أسلوبه العربي ؟ ألم يعترف الأستاذ سلامة بأن أسلوبه تلفظي « لاسلكي » ؟

وليقل لنا بعد ذلك الناقدون ماهو الاسلوب « التاعرافي » في اللغة العربية وعند كتاب العربية ؟

ولقد قرأت في العدد الاخير من « الحديث » ردان على كلمة تفضل صديقي صاحب الحديث بنشرها في العدد الخامس من سنتها الثانية . احمد الزدين « البكاور يوس آداب من أمريكا » ، وما أدراك ما أمريكا ، هو محمد افندي على ثروت . والثاني صديقي الاستاذ زكي مبارك . اما الاستاذ فيقول بانى أتبع أسلوبا مانفع غيرى اينفعنى . اما النفع والضرر يااستاذ زكي فبيد الله وله فى ذلك أقدار مقدورة . واما قولك — « فهل يتفضل صاحب العصور فيذكر من هم الكتاب المعاصرون الذين يقف منهم الاستاذ سلامه موسى .وقف الشربتلى من محمد عبده وجمال الدين الافغانى » — فليس من الاسئلة التى يعسر الجواب عليها . فلماذا لا يكن الدكتور طه حسين أو الدكتور فهدى أو الدكتور فريد رفاعى أو كون الدكتور زكي مبارك نفسه ؟ وكن على يقين أيها الصديق انى ماأبتغى بذلك نفعاً أجهوه أو كسباً لشيء من حظام الدنيا صغرام كبر ؛ بل هى طريقتي وأسلوبى لأنفك عنهما . اما النفع والضرر فلا شأن لى بهما بعد ان أرضى نزعتى وأعبر عن رأيى فى صراحة لا تقبل التويه .

أما « البكاور يوس آداب من أمريكا » فانا ننقل لك فقرات من رده فى الحديث لتعرف انه « بكاور يوس آداب » ومن صميم « أمريكا » ، « وإن من البيان اسحراً وان من « النقد » لحكمة » — قال زادنا الله من أدبه :

« وفى الجملة فكتب سلامه موسى قد امتازت بجمال الاسلوب وبالنزاج الفلسفى وبالنظر التحليلى الثاقب فى التاريخ الانسانى (مرعى مرعى) وتطور تفكير العقل البشرى . وهى منعمة بالادلة المنطقية القاطعة . واما أسلوبه فهو البديع الغير المعقد (كالأسلوب البكاور يوس آداب) المتكامل لكل صفات المجيدين ممن ضربوا بسهم فى تاريخ الانسانية (ثم ماذا ؟) وتطور ذلك المدى الذى خلق

في فضائه العقل البشري (وما هو تطور المدى أيها البكلوريوس آداب ؟)
وبالاختصار فهو السهل الممتنع (وهل يؤدي ارض الاول هذا المعنى ؟) -
ثم اقرأ :

« ولم يكن لسلامه غرض يرمى اليه بكتابتته التي سرت فيها روح العصر ،
سريان الدم في الشرايين (الدم يجري في الشرايين ولا يسرى) سوى العودة
لرسم صورتنا الحاضرة (كصورة البكلوريوس المنشورة مع مقالته في الحديث
والظاهر انها مقطوعة من « أبونيه » قديم) وهي صورة جزئية من مجموعة الصور
التي تتألف منها الانسانية (ما يعنى البكلوريوس آداب بهذا ؟) كما رسم صورة
أمته كل كاتب خالد » . ثم اقرأ بعد ان تبسمل حذر الشيطان وتحوقل على لغتك
العربية وأسلوبها :

« ولم تكن الصورة التي يعطينا اياها « سلامة » شبيهة بالصورة التي رسمها
الكتاب المزوقون من مجرد سحب بحة سرعان ما تشرق عليها الشمس فتنتشع ،
وتضمحل ، ولكنها صورة مصنوعة من مواد الارض التي نعيش عليها (اى
صورة من طين او زلق) والتي تعطينا مادة التفكير والحياة (مرعى مرعى) بل
هى صرح من التفكير وحصن منيع أو معبد مقدس للعقل المصرى المعاصر
يستطع أن يجد فيه كل طبعى من أعصابنا . ومصور احساساتنا . الفرصة السانحة
ليتعبد في محراب الجمال المقدس (وهكذا تكون الاساليب الامريكانية
وإلا فلا) .

ثم اقرأ وأندب اللغة العربية في مناحة طويلة .

« ولا نستطيع أن نقول عن سلامه سوى ما يقرره روح العصر عنه (ولم
اتشرف بعد بمعرفة روح العصر افندى او الاستاذ روح العصر ولعله لا يزال في
السماء السابعة) . وهامى مكتبه ومقالاته منشورة أمامنا (على الطاولة) وكأني

أسمع روح العصر. (اسمعني معك وقتك الله ومتعك بالبكالوريوس) قول عنه انه قوة سلكت طريقاً محفوظاً بالموانع . الخ الخ .

ثم اقرأ كيف يكون القصد وعدم الأسراف في نقد البكالوريوس اذ يقول : ولو - « كنا في احكامنا منزهين عن التفرض والتحامل لقد رنا سلامه موسى كما يقدر الروسيون « تورجنيف » وكما يقدر الفرنسيون « فلوبير » !!! هذا في الآداب ياسيدى البكالوريوس . ولماذا نسيت أن يشارك داروين عظمته وسبب سر خلوده ، ذاك في العالم الطبيعي ، وهذا في الفلسفة ؟ لعلاك نسيت . واني اعتذر عن استدراكي هذا .

وبعد فيحسن بالإستاذ سلامه موسى أن يمنع مثل « البكالوريوس آداب من امريكا » عن أن يدافع عنه هذا الدافع الذي هو أشبه شيء بالنذب في المناحات منه بالكلام العربي الذي يقتضيه موقف كوقفه يدافع فيه عن أسلوبه . واني آسف بعد هذا إذ اعترف أني لأزال على رأيي في أسلوب الاستاذ سلامه . فهو أسلوب عامي . وليس أعرق منه في العامة نسباً وأدنى اليها لجة إلا أسلوب « البكالوريوس آداب من امريكا » .

الحب والجمال

الهلال - مصر - من مقال بهذا العنوان بتوقيع سلامه موسى : عدد أغسطس سنة ١٩٢٨
يقول الاستاذ مانصه :

« اذا جردنا الكرة الأرضية من الحيوان وتخيّلناها كأننا لسنا منها ولا نتصل بها الرأينا كما يرى الكون كله ايضاً مظلمة صامتة »
« فنحن نتوهم أن في العالم ضوءاً أو ضوضاء . نرى الشمس تسطع بنورها ونسمع تغاريد الطيور ووصخب الحركة من موج أوريح فتوهم أن الضوء والضوضاء

حقيقتان لهما وجود مستقل عنا . ولكن الواقع أن لاوجود لهما في ال كون أو على الأرض . وإنما كل ما هنالك حركة نراها أحياناً ضوء أو نسمعهم أحياناً صوتاً . فالصوت والضوء ليسا حقيقة موضوعية لهما وجود خارج عنا بل حقيقة ذاتية متوقفة على ذواتنا ، أي على العين والأذن . فلو فرض أنه كن على الأرض حيوان آخر له حواس غير حواسنا ، وليس له عين أو أذن لما تخيل معنى للصوت أو للصوت .

وهذا القول لا ينطبق على الحقائق العلمية ، ولا الأبحاث الفلسفية العميقة التي تصدى لها كثير من الباحثين في العصور الحديثة .

لقد اختلط على الأئمة ما ذسلامه في هذا البحث أن يفرق بين الإدراك وما يدرك . وكان عليه أن يتساءل هل إذا فقد الإدراك كلية انحلت كل المدركات باعتبارها حقيقة طبيعية لها وجود موضوعي ؟ والواقع أن الأستاذ سلامه قد اعتمد في هذا البحث على الأبحاث الفلسفية في الفرض الضروري في الفلسفة . ومعنى الفرض الضروري عندهم أن الإنسان يلزم ضرورة بالاعتقاد بعدة حقائق يستقيم معها علمه الطبيعي ولو لم يكن في استطاعته أن يثبت وجودها بطريقة علمية . لا جرم أن هذا لا يؤثر على وجودها الموضوعي الحقيقي سواء أثبت الإنسان وجوده علمياً أم لم يثبت . وبالضرورة يخرج عن هذا كل الأشياء النظرية التي لا يرجع اثباتها إلى الحواس وحدها باعتبارها طريقاً لاثبات العالمى .

فلو أردنا مثلاً أن نثبت وجود حيز للمادة خارج عن حيزنا ، لما استطعنا . ذلك لأن ادراكها راجع إلى احساسات كائنة فينا وليست خارجة عن حيزنا . ولو فقدنا البصر امتنع علينا أن نراها ولو فقدنا الشم امتنع علينا أن ندرك رائحتها . ولو فقدنا الحواس جميعها امتنع علينا أن ندرك أن لها حيزاً خارجاً عن حيزنا . لهذا تحملنا ضرورات العقل والحواس على أن نفرض وجودها فرضاً ضرورياً ولولا هذا الفرض لتعذر علينا أن نقوم بأعمالنا وأن نؤدى حاجتنا . أما إذا أديناها

وانصرفنا عن هذا الفرض في الوقت نفسه كان ذلك دليلاً على أن ميزان العقل قد اختل وان الفتنة قد انحلت . غير أن هذا كله لا يقوم دليلاً على أن المادة ليس لها وجود حقيقي أو أنها وهم تصوره لنا الحواس . فإن عجزنا عن إثبات وجودها علمياً أو إثبات أن لها شيئاً خارجاً عن حيزنا من طريق العلم ، لا يؤدي إلى النتيجة التي يريد بها الأستاذ ، وهي إثبات أنها تكون وهماً لأن وجودها راجع إلى حواسنا وحدها . لأن الحقيقة أن عجزنا عن إثباتها علمياً راجع إلى ذاتيتنا لا إلى موضوعيتها بعبارة كائنة . ولا أدري ما هي العلاقة بين وجود المادة في موضوعيتها وبين فقدانها لذاتي ؟

فإذا استطعنا بعد هذا أن نثبت للأستاذ أن الضوء مادة نراها بالبصر وأن الصوت موجات في مادة لها وجود موضوعي استطعنا أن تنقض نظريته التي يذهب إليها وتنقض معها كل ما بنى عليها من النتائج .

والحقيقة أن الصوت أن كان عرضاً عن الأعراض اللازمة لمادة متحركة ، فإن الضوء مادة صرفة . فإذا عجزنا عن إدراكها بالحواس المتعطلة الحواس ذاتها فليس ذلك بدليل على أنهما وهميان لا حقيقة موضوعية لهما . وهذا كما لو قلت تماماً إن فقدان الحواس وعدم إدراك المادة بفقدانها دليل على أن وجود المادة ذاتي لا موضوعي .

قال سير جيمز سكرتير المجمع الملكي البريطاني :

« ان الحرارة والضوء يحملان ثقلاً معيناً . ثقلاً حقيقياً تتكلم فيه كما تتكلم في طن من الفحم أو قنطار من الحديد . فإذا قلنا مثلاً طننا من الحرارة أو طننا من الضوء ، انطبق كلامنا على الحقائق العلمية ولم نعد الصواب قيد أصبع . وليس معنى هذا أننا نحصل على طن من الحرارة أو طن من الضوء إذا نحن أحرقنا طنناً من الفحم ، كلا . فانما إذا أحرقنا طنناً من الفحم فانما نحصل على جزء من مليون جزء من الرطل ضوء أو حرارة . والباقي يكون رماداً أو رجوعاً ، أو مواد تختلط

باو كسجين الفضاء . فاذا وقع الضوء على سطح ما فاناره ؛ فانه يحدث من ذلك السطح « صدمة » Impact — كما يقولون في الميكانيكات — هي نتيجة لثقله . فاذا وجهت الى الانسان كمية من الضوء كافية الثقل ، فانها تصرعه ، كما تصرعه كرة المدفع تماما . وهذه « الصدمة » التي يحدثها الضوء لدى وقوعه على سطح ما ، تمكننا من قياس ثقله ؛ كما نستطيع تماما أن نقيس ثقل كرة يقذفها مدفع من مقدار « الصدمة » التي يحدثها في هدف توجه اليه . ولا جرم أننا نضطر في هذه الحال أن نعرف مقدار سرعة كرة المدفع تماما . أما سرعة انتشار الضوء فمعروفة على وجه الدقة والضبط ، وهي ١٦٨٤٠٠٠ ميل في الثانية »

إذن فالضوء مادة والصوت عرض ملازم لحركة المادة ، وما دام للمادة وجوداً حقيقياً لا يتوقف على حواسنا وذاتيتنا ، انهارت نظرية الاستاذ سلامة موسى في الحب والجمال ولو بمقدار ما أقام على نظريته هذه من الاستنتاجات .

أما اذا سائرنا الاستاذ سلامة في نظريته هذلم يصبح لشيء من وجود حقيقي سوى الحواس . لان كل شيء عنده يتوقف عليها . في حين أن الحواس ليست الا وسائل زائلة تنقل « موضوعية » الطبيعية الى « ذاتيتنا » .

ان الابحاث الحديثة لم تدر حول فقدان المادة بفقدان الحواس ، بل دارت حول اثبات المادة من طريق العلم وبالوسائل العلمية التي لا طريق لها الا الحواس جرياً على القاعدة التي وضعها سبنسر اذ قال بان « كل ما لا تدركه الحواس لا يمكن أنه يكون صحيحاً » . هذا ليكون الاثبات علمياً . ولكن تقييد الاشياء والحكم على وجودها او عدم وجودها من طريق العلم وبالوسائل العلمية ، امر لا يجيزه العقل لان الحواس ناقصة والطريقة العلمية ناقصة بالتبعية لها . ومقدار النقص في الاولى ، لا بد من أن ينتقل الى الثانية بالاستتباع . هذا في حين أن عجزنا عن اثبات وجود شيء من طريق الحواس او بالاحرى بالطرق العلمية ، لا يثبت انه غير موجود . والفارق ظاهر جلي .

اصلاح النوع البشرى

الهلال . مصر . من مقال بهذا العنوان من تلم التحرير ص ١٢١٢ د عد اغسطس سنة ١٩٢٨ في هذا المقال استدراك بسيط ولكن لا يحوز بنا اعقاله فقد جاء فيه :

« كان غالتون بن عم داروين (أى شارلز روبرت داروين المعروف) اول من التفت الى موضوع الترقى البشرى » — والحقيقة أن السير فرانسيس غالتون هو بن عمه داروين لابن عمه . فان اياه مسترس . ت . غالتون من ميدستون بمقاطعة وارو كشير وجده لوالدته مستر اراسموس داروين وخال مستر وارنج والشارلز داروين المعروف (راجع الانسيكوبديا يريطانيكا مجلد ١١ ص ٤٢٧ الطبيعة الحادية عشر)



حول الدم السامى والدم الأكرى

عن مجلة التربية والتعليم . بغداد ، باعضاء ابو خلدون . الجزء السادس سنة ثانياه ص ٣٧٦
حاول الاستاذ ابو خلدون أن ينقض رأينا الذى ذهبنا اليه فى تحليل شخصية بشار بن برد ، ذلك رأى الذى ايدنا فيه كثير من الادباء فى مصر وفى غير مصر من المشتغلين بحركة الآداب . وفى ظنى أن هذا رأى سوف يكون له شأن بعد أن تكتمل فى عقليتنا كفاءة القياس التاريخى . على أنى اعتقد أن هذه النظرية لا يمكن رفضها برمتها ، كما يصح أن تكون صحيحة فى جملتها . فهى لاتزال فى طور التكوين والتمحيص . وأنا نشكر لمجلة التربية والتعليم عنايتها بمثل هذه الابحاث .

غير أنى على الرغم من كل ما أتيت به من بحث واسانيد لأزال اعتقد ان بين الدم الأكرى والدم السامى فارقا بعيدا وصدا متنائيا يحملنا على أن نفرق بين المنتوجات العقلية التى ينتجها جذعان مختلفان تمام الاختلاف من جذوع الشجرة

البشرية . وقبل أن نخفي في اثبات رأينا هذا نظهر للقارىء شيئاً من الخطأ
الذى وقع فيه الكاتب ليعرف مقدار وقوفه على حقيقة الموضوع .

قال في صحيفة ٣٧٤ . مايلي

« هذا ، ويجب أن لا يعزب عن باننا ان تاريخ آداب الامم الاوروية لا يتخذ
من ذكر ادباء وشعراء عظام منحدرين من أنسال اجنبية عن الامة التي نشؤوا
بين ظهرانيها مع ذلك لا يقدم مفكر و تلك الامم على ارجاع مزاياهم الى نوع الدم
الذى يجرى في عروقهم ، بل كثيراً ما نراهم بالعكس يعتبرون بعض هؤلاء الشعراء
من اكل الممثلين لآداب القوم واحسن المعبرين عن ميول الامة . بازعم من
انحذارهم من سلالات اجنبية » ثم قال

« وذلك لان التدقيقات النفسية والاجتماعية اظهرت بصورة واضحة أن
عقاية الانسان ونفسيته من محصولات حياته الاجتماعية ولا من موروثات دمه المادية »
ولا جرم ان هذه هي النتيجة التي اراد أن يخلص بها السيد ابو خلدون من
بحثه الطويل . وهي نتيجة تؤيد رأينا بحالاً بترك العرب بحالاً . لأن عقاية
الانسان ونفسيته اذا كانتا من محصولات حياته الاجتماعية ، وذلك لا ريب فيه
فان حياته الاجتماعية من منتوجات دمه . كذلك لا نستطيع أن نقول بان الحالة
الاجتماعية تنصب على الفرد فتجعله ماهو ، بل ان الفرد على الضد من ذلك ينشأ
في ظل الحياة الاجتماعية المصورة باديء ذي بدء بغير أن الجماعة التي هو تابع لها ،
اذن فيكون الانسان ابن دمه لا ابن الصدف كما يريد أن يقول ناقدنا .

ومن اغرب ما ذهب اليه في هامش اثبته في ذيل مقاله ، وهو يدل على أنه
لم يستطع ان يفرق بين الجدعين السابى والآرى ، واراد به أن يؤيد نظريته
الأولى قوله :

« ان ساميشو من اشهر رجال الآدب الالماني كان افرانسياً ، في حين ان جورج
ساند الشهيرة في الآدب الافرنسية كانت من عائلة ساكسونية ، وأن اميل زولا

الذي يعتبر من اكبر الروائيين في فرنسا ولد من اب ايطالى ، فى حين أن بوقاجيو المشهور بقصصه الايطالية ولد من ام فرنسية . وان بول دوقوق الذى يعتبر من احسن الممثلين للظرف الفرنسى كان هو لاندى الاصل . وان لرمونتوف المشهور بين أدباء روسية ينحدر من اصل اسكوتلاندى، كما أن بوشكين الشهير يتصل بنسل بويرى، وان كابلارو المشهورة فى الادب الاسبانى ولدت من أب المانى ، وفوسكولو المشهور فى ايطالية ولد من ام اغريقية . اما الكساندر روماس الشهير فيحمل فى عروقه دما زنجيا»

ولسنا نعرف ماذا يقصد بهذا . فان كل من ذكرهم يعودون فى اصلهم الى جذع واحد هو الجذع الآرى . فكل امم أور باتعود الى أصل آرى فاذا نبغ ايطالى فى الفرنسية اوانجائزى فى الالمانية او فكر على اسلوب خاص بامة من الامم الاورو بية فليس ذلك بغريب ، وما هو يؤيد ما يذهب اليه ، بل يؤيد ما نذهب اليه لان الجميع يرجعون فى اصلهم الى الجذع الآرى . ولو فرض وان مصر يا نبغ فى الادب الانجائزى او اوانجائزى نبغ فى الادب العربى فهل هذا دليل على أن المصرى أصبح انجائزى بالدم ، وان الانجائزى قد أصبح عربياً بالادومة . كلا . فان هذا القول اذا قيل كان أبعد ما يكون عن محجة الصواب .

ونرجع بعد ذلك الى الاستشهاد بمس مولار الذى أخطأ الكاتب فى الاستشهاد به ، وننقل عنه ما يدل على اعتقاده بان اللغات الآرية والباسامية تختلف فى حيث الاصل ، ولا جرم أن هذا يدل على اختلاف الجذعين الذين نشأت عنهما هذه اللغات قال :

فى كتابه « محاضرات فى تاريخ علم اللغة » الجزء الاول : ص ٣٥
(الطبعة الثامنة)

« اذا انعمنا النظر في اللغات التي يتكلم بها في جهات العالم المختلفة وكافة اللهجات المتفرعة عنها ولو لاحظنا التغييرات التي طرأت على كل من هذه الالسن خلال الدهور كيف تحوت اللغة اللاتينية الى الايطالية والاسبانية والبرتغالية ولغة برودنسال والفرنسية والولاحية والرومانش (لهجة من الرومانية) وكيف ان اللاتينية بعد ذلك هي واليونانية والكاتية واللغات التيوتونية والسلافية يضاف اليها كذلك لهجات الهند وفارس القديمة - كل هذه تشير الى لغة أصلية - أم هذه اللغات جميعاً - أم الفصيلة اللغوية الاندو يوروبية أو الآرية وكيف أن العبرية والعربية والسرانية ولهجات صغرى مختلفة ما هي إلا مظاهر مختلفة وأوجه متعددة لأصل واحد ونوع واحد وهي اللغة الأصلية للجنس السامي » الخ وجاء في كتاب الأستاذ جسبرس (أحدث المؤلفات في هذا الموضوع المعلنون « اللغة - طبيعتها وانتشارها وأصلها » (طبع سنة ١٩٢٢) بعد ان تكلم المؤلف عن أبحاث بوب وجريم « ان الأول بعد محاولات عديدة في تقسيم فصائل اللغات فضل الاسم الشامل « الاندو أوروبى » وقد انتشر هذا الاصطلاح في فرنسا وانجلترا وبلاد الاسكندناف أكثر منه في المانيا وعقبه في هذه الابحاث همبولدت الذى اصطلح على لفظ « اندو جرمانى » وقد انتشر استعماله في المانيا ثم استعمل لفظ اندوكلتك (هكذا يقول جسبرس) بيد ان كل هذه المدلولات المركبة سقيمة وملتوية وتفتقر الى القصد والساد ولا تصيب الغرض تماماً و يظهر لى أنه اجدى وانفع ان نستعمل اللفظ المختصر المفيد « اللغات الآرية » ولفظ الآرية أقدم الالفاظ التي كان يعبر بها عن أى فرع من فروع هذه الفصيلة اللغوية في الهند وفارس .

وجاء في نفس الكتاب ص ٧٤

« يشير شكسبير الى تشككه في احتمال اتقان أى انسان لغة أخرى لدرجة الكمال ولا يسلم بذلك الا في حالة استبدال أى انسان لغته الأصلية بلغة أخرى

في مستهل شبابه ولكن بذلك يصبح مخلوقا يختلف عما كان عليه. فعقله وأعضاء الكلام عنده تنمو في اتجاه آخر ولوقيل لنا ان زيد من الناس يتكلم ويكتب بالانجليزية والالمانية والفرنسية على حد اتقان واحد فهذا مما يشك فيه شليشر بادىء ذي بدء وبعد ذلك اذا سلم بان هذا الفرد المانيا وانجليزية وفرنسيا مجتمعين في شخص واحد فهو يذكركنا بان هذه اللغات الثلاثة تمت الى فصيلة واحدة ويمكننا ان نقول بانها أنواع مختلفة للغة واحدة. بيد انه ينكر على أى انسان احتمال اتقانه الالمانية والصينية في آن واحد أو العربية ولغة الهوتنتون. اذ ان هذه اللغات متغايرة تماما في دخيلة معدنها » قال الاستاذ أبو خلدون

« وقد عبر ما كس مولر المشتهر بتدقيقاته اللسانية الواسعة ، عن حكم العلم في هذه المسألة بتمثيل حاسم وجذاب ، حيث قال ! ان العالم الاتنولوجى الذى يبحث فى علم آرى ودم آرى وعيون آرىة وشعر آرى يرتكب هرطقة لا تقل سخافتها عن سخافة العالم اللغوى الذى يجرأ على البحث عن « قاموس مستطيل الرأى أو » نحو قصير الرأس »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وهذا القول على صحته لا يؤيد الاستاذ فيما ذهب اليه : ذلك لانك لا تستطيع أن تفرق بين الدم الآرى والدم السامى تحت الميكروسكوب مثلا . ولا يمكنك أن تعرف ماهو الفرق بين العيون والشعر الآرى وغيره . وان كان العلماء قد بدأوا يفرقون بين الشعر في السلالات المختلفة ، ولكن هذا لا يمنع مطلقاً أن نقول إن هنالك مدنية غربية نشأت من أم أصلها من جذع آرى ومدنية شرقية نشأت من أم أصلها من جذع سامى — والفروق بين المدينتين واضحة .

والمحصل أن الجذع الذى يفوز بتصوير أديان التوحيد لا يمكن ان يتفق والجذع الذى يصور كل أديان التكثير والتثليث فى العالم من حيث الدم والوراثة . فان الدين اليهودى فى قلبه المسيحى دين توحيد ، ولم يكمد يستقر فى أوربا حتى ثلث . وفى ذلك دليل واضح على نزعة الدم .

على أن الاستشهاد بقاموس « مستطيل الرأس » ونحو « قصير الرأس »
لاستشهاد يدل على أن هنالك سلالات تختلف بالوراثة فيها هذه الصفات وعلى
أن إنكار الوراثة بالدم إنكار لكل ما تقوم عليه مباحث الوراثة الحديثة في
العلم النشوي . ولا نذهب لاكثر من هذا ففيه الكفاية

١١ صموئيل الخالد

تجالة السيدات والرجال ص (٥١١ — ٥١٧) جزء ثامن السنة التاسعة .
أتدري من هو الاحق الخالد عند تجالة السيدات والرجال؟ هو غيليمو غليلي
العظيم . ونستأدري ما الذي حل كاتب هذا المقال على اختيار هذا العنوان الغريب
جاء في ذلك المقال ما يلي ص ٥١٤ :
« والمجرة التي تراءت نقطة في الغيوم بدت له جماعات من النجوم يمكن عدها
والتمييز بين مفرداتها ، وحول زحل (جوبيتر) رأى أربعة أقمار » .

وجاء في ص ٥١٥ ما يلي

ولكن غاليليو..... « اكتشف اموراً جديدة خطيرة الشأن ومن جماتها
كلف سوداء في الشمس ، وظواهر سطح الزهرة وحلقات المشتري او هالاته ، »
وفي هذا الكلام من الخلط البين مالا يحسن السكوت عليه . فلو ان غيليمو
نظر الى زحل اذن لرأى حلقاته ورأى من حوله ثمانية أقمار ، لا أربعة ولو نظر الى
المشتري اذا لراة قرصاً كالشمس له مناطقته المعروفة ومن حوله أربعة أقمار . فان
المشتري هو جوبيتر Jupiter ولو زحل هو ساترن — Saturn — .

ولا ندري بعد هذا الخلط أيهما الاحق ؛ اغيليمو ام كاتب هذا المقال ،

السفور والحجاب

(بمناسبة الكتابين المقرئين في هذا العيد)

ان أول سؤال أرغب اتياءه على المفكرين هو هل يصح اطلاق « التعفف » على عدم المقدرة على الوصول الى ما يرغبه الانسان ؟ وهل تعد المرأة المراقبة زاهدة في المعصية ؟ بل هل يصح لنا أن نفتخر بان المرأة شريفة وعرضها مضان وقد تكون تحلم ليلها ونهارها بالفرصة التي قد تتاح لتقوم بنصيب كبير من الدنيا ؟ أنا لا يهمني المقارنة بين من عاشوا قبل خمسة عشر قرنا وبين الذين يعيشون الآن لان الظروف والاستعداد والوسط وحتى الاخلاق تختلف اختلافا كبيرا في العصرين ، اذ كانت المرأة قبلا على الفطرة وكان الرجل حيوانا خفيا نجسا . فذا ما أردنا مقارنتها فهي في ذلك العصر ، فيجب ان نفعل ذلك مع ماشية أو راحلة العربي الهجين وليس مع نصف الانسان المتحضر الذي نظم حتى شفقتة بالحيوان الاعجم . وكيف تقارن الماضي بالحاضر وأبسط مبادئ الاخلاق الحالية تستنكر انهمالك رجل في قتل الغير من أجل سبي نسائه . وهل تهضم الانسانية التي نفهمها الآن سلوك رجل لا شغل له الا الجريمة أو الانعاس الى أذنيه في الشهوة الحيوانية مع قطيع من الاناث حرمهن من أزواجهن وآبائهن وفلذات أكبادهن فتتاهنهم أو شردهم تلبية لرغبة بهيمية ؟ وهلا يهدينا عقلنا الى ان المرأة الراقية هي غير المرأة المتوحشة فالأولى لها عواطف ولها ميول أرقى بكثير من غريزة الثانية ؟ ان محاولة المرأة ، في الوقت الحاضر ، الوقوف جنبا الى جنب مع الرجل يجعلها تعامله بالمثل . فاذا تطلع اليها كأنها اداة للشهوة ، لن ترى منه الا ما أراد فيها والبادئ أظلم . ان جرائم القتل التي كان يقترفها الرجل ضد غيره من الرجال لاجل سبي نسائهم ونهب أموالهم قد تهذبت ، وقلت كثيرا عن ذي قبل . فاصبح الآن عدد الرجال

والنساء متقاربان لبعضهما وليس معنى حيازة الرجل لاكثر من امرأة واحدة حرماناً
لغيره من الزواج ؟ ومن ذا الذى يتهافت على اللذة إلا أصحاب الثروة والنقود ؟
وهل أغلبية هؤلاء الا شيوخ همد الكبر قواهم فأصبحوا غير صالحين لانتاج نسل
قوى ؟ اننا بتركنا حبل هؤلاء الحيوانات ليفعلوا ما تسمح به ثروتهم وجاههم نعمل
على حرمان بعض الصالحين من الشبان من اقيام بما تمليه عليهم الطبيعة البشرية .
وبالطبع سيدسى كلهم جهده لنوال بغيته وهذه أول خطوة للفساد . كذلك المرأة
التي وجدت ذاتها بالرغم منها في حوزة رجل عديم الاسنان قد أحنت السنون
ظهره وأضعفت قوته الحيوية فما يكون منها اذا شاهدت ولوعرضا شابا يمثل الخيال
المتسلط على فكرها ؟ فهل هناك شك في ان الطبيعة تجذبها الى الاصلح ؟ فعلى
من تقع اذن مسؤولية خرق حرمة القوانين الاخلاقية ؟ على الطبيعة البشرية أم
على العواطف أم على الذين يتغاضون عمداً عما هو طبيعى ؟ ان النظريات الاخلاقية
تصبح مهزلة اذا تعارضت والقوانين الطبيعية النافذة وانكم بارهاق المرأة تحطون
شخصيتها وتجبرونها على الامتناع قسراً عن انتباهكم مخافتكم الاخلاقية . ومن
الغريب انكم تصفتون طربا عندئذ مدعين بان المرأة عفيفة شريفة طاهرة الذيل
متناسين انها مكرهة على ان تتصف بالسجاي التي تجذبونها . فما أذكاكم !

اذا كنتم تخفونها خوف الفتنة فانتم مخطؤون . ان الخصى المفتول الساعدين
الطافح من وجهة دم الشباب يحى في المرأة الشابة المملوءة حيوية الأمل لتلقى
نفسها بين ذراعيه لانهم أمتن من ذراعى زوجها المرتعشتان ، بل ان اللقاء نظرة
ولوعرضا من نافذتها على عابر سبيل تحي في نفسها الرجاء وتدفعها الى نوال بغيتها
الطبيعية . وايس هذا فنط بل دم الشباب الذى يجرى فى عروق أخيها بل أختها
أو صديقتها يجعل كلهم لها بديلاً من الرجل مع الحاجة الطبيعية فهل نستبعد بعد
ذلك وقوع مالا يستحب بين المرأة وبين الاخ و بينها وبين الاخت أو الصديقة
كي تطفىء هيجان الطبيعة بالاكل بل لماذا نستهن منها ان ترى حتى فى حيوان

متناسق الاعضاء خير بديل من هيكل زوجها الخرب المنهدم ؟
 ان اقتصار علاقة الرجل بالمرأة على الصلة الجنسية يظهر كلامها للآخر
 لا أكثر من أداة للذة واذا ما ثبتت فكرة اللذة وتحكمت على عقليهما كانت
 شغلا شاغلا لهما يحرض كل منهما على التنقيب عن الوسائل التي تسبب لكل منهما
 لذة أكثر. فالواجب اذن ان تكون الصلة الجنسية بين الزوجين اقل الروابط
 التي تجمعها معا وان تكون اهم رابطة لهما هي التفاهم الواجب التمهيد له برفع
 مستوى المرأة العقلي حتى تصبح للرجل صديقة تشاركه في آرائه وتسديه نصيحة
 قيمة كلما كان في حاجة اليها . وان يحل الصفاء بينهما الا اذا تبادلا الاحترام
 الصادق واول دلائل هذا الاحترام هو عدم احتقار الرجل للمرأة وذلك بعدم
 اشراك غيرها في قلبه وفي آرائه وفي حظه بل يجب عليه ان يقف بجانبها كي
 تقف هي بدورها بجانبه الى ان يسقط احدهما صريعا

ورفع مستوى المرأة العقلي يفيد ايضا في تربية البنين . فان المرأة اقدر
 من الرجل على القيام بهذه العملية ورفع مستواها العقلي ضروري ايضا للقيام
 بالتدبير المنزلي — وحذار ايها السادة العلماء ان تظنوا بان معنى هذا الاصطلاح
 هو الكس والمسح فقط — فله معنى اجل هو ادارة مملكة المنزل الداخليه
 ومراقبة الصحة والتعليم والمصروفات فهي المرأة التي يتقاضى اليها الاطفال والخدم
 وهي المسئولة عن جعل المنزل فردوسا يجذب الرجل والاطفال وايضا الخدم اليه
 ورفع مستوى المرأة العقلي ضروري ايضا لانه قد يحدث ان لا تجد المرأة
 مشاركا لحياتها — وربما بارادتها هي — او ربما تفقد شريك حياتها فوالحالة هذه
 يجب عليها ان تكون مستعدة لمكاثفة الزمن من اجل عيشها ومن اجل عيش
 ابنائها اليتامى اذا وجدوا

الاختلاط ضروري للجنسين فاذا تشبثتم بفكرة الفتنة وبفكرة ضعف
 المرأة فهلا حاولتم حبب وجه الرجل دونها لانها اكثر منه تعرضا للفتنة ؛ بل هلا

حاولتم بالاقبال الحجر على من هو جميل من الرجال لان الجمال هو الداعى الا كبر
 للافتتان وليس مجرد الانوثة؟ اريد ان اسر اليكم يا انصار الحجاب الاتنياء بما
 هو معلوم تماما لديكم وهو « اينما وجد التحجب انتشر اللواط » والداعى الى انتشار
 هذه السفالة وجود شيء اسمه « الميل الى الجمال » يدفع الانسان الى كل ما هو
 جذاب . فاذا ما كان هذا الجميل زهرة او منظرا اقتصر الامر على تهيج العواطف
 حتى الاستكفاء . واما اذا كان انسانا فمن السعى للتقرب اليه يكون اولهم الاخر . فلما
 المرأة فان ملامستها اصعب من ملامسة الرجل لان بها حياة عزيزى واما الرجل
 فلامسته هينة وكذلك الاختلاء به ثم اغرائه . واما المرأة فلرغبتها فى انتخاب
 الاكمل ولرغبتها العزيزة فى التلاعب بعواطف الرجل كي تزيد قيمتها فى عينيه
 تصبح ملامستها اصعب واغراؤها يحتاج الى وقت ، هذا على فرض انها لا تحافظ
 على بكارتها او على شرفها بل اقول بل الناس تفرعها فوجودها مع الرجل ادعى
 للشبهة من وجود رجلين مع بعضها . ان الوقت الذى ينفقته الرجل فى التقرب
 من المرأة يجبره على التخلق ولو لم يقنأ باحسان الاخلاق حتى ينال ثمتها وكذلك
 المرأة فانها بالاقبال تنظاها بانها احسن مثال للاخلاق لنال حظوة فى عينى الرجل
 إذ يكون املها دائما متجها نحو الزواج . وعلى فرض ان تخلقها بحسن انخالل يكون
 مؤقتا فانها ستربى ابنتها ولو على (التظاهر) باحسن الاخلاق لاجل صالحها وهذه
 ستدرب بدورها ابنتها وهكذا تصبح الاخلاق بعد عدة اجيال عادة من السهل
 اتباعها اذا وجدت بيئة ومعاملة حسنتين

ان فى الحجر على المرأة اكبر دافع لها للبحث عن طريق الحرية . ومن الاسف
 ان من لوازم الحجر الجمل وعدم الخبرة الامر ان اللذان يساعدان على وقوع المرأة فى
 شباك المغررين . فلو سمعت المرأة كلمة من رجل غريب عنها مالت الى تصديقها
 خصوصا اذا كانت محرومة من سماع امثالها من رجالها . وهى فى هذا تخالف تماما
 المرأة السافرة التى تنشأ تحت مراقبة امها فى وسط مختلط . واذا احتجبت المرأة

الا يكون احتجابها مخف لشخصيتها فتقترف الآثام دون أن تعرف، بعكس المرأة السافرة التي ينم عليها وجهها وما أدري الزوج اذا كانت زائرات زوجته المتحجبات هن نساء أو رجال متخفين؟ يجب أن يسلم الحجابيون الميالون مراقبي المرأة أن وجودهم معها في الاجتماعات دائماً يسهل عليهم مهمة القيام بوظيفة الجاسوسية على ضحيتهم؟

يعود فساد اخلاق المرأة الى سوء سلوك الرجل معها فانه اذا اغلظ لها القول مالت أولاً بحسن نية الى أى رجل يحسن معها القول . ثم ينقلب هذا الميل الى ثقة فاستحسان فغرام . كذلك الرجل الكثير السور يسبب لامرأته المالى من الوحدة فيدفعها بذلك الى التجري وراء السرور البريء أولاً ، ثم تنمادى بعد ذلك خصوصاً وانها تجد مؤانسةً لها يحتمل رؤيتها رويداً رويداً مركز الزوج الحالى من قلبها . واما إذا كن الرجل يعاشر نساء آخر غير المرأة فانه بطبيعة الحال لن يكفى حاجتها فيدفعها من جهة كما تدفعها الضغينة من جهة أخرى إلى البحث عن طريق لارواء غليلها ولو بالافل لمقابله بانثمل . هذه احدى نتائج تعدد الزوجات السيئة . أضف اليها الحسد بين الضرائر وسعيهن بالوقيعه بين رجلهن وضرائهن من جهة وبين أولادهن وأولاد ضرائهن من جهة أخرى . فبين الضرائر تكثر التهمة وشعائر السحر وحتى أولاد الضرائر يكونون عرضة لهجوم الضرة على مستقبلهم وذلك بتنفيذها الوالدهم منهم وهم ابرياء . وهى انما تفعل هذا كي يتنعم أولادها دون غيرهم في عز والدهم والسيدة المسالمة تندفع الى التبذير وحتى الى السرقة كي لاتعطى زوجها فرصة للزواج من غيرها وأيضاً لكي تكون في سعة من العيش بفضل ما اخفته من مال الزوج اذا ما اتاها خبر دلاقها من القهورة .
الخلاف وقع بين زوجها وآخر على ما اذا كانت اللعبة (بنجيك أو دورجى) وأنا أعرف سيدات يبعن خزين المنزل والاقشة ليكنزن ثمنها لوقت الحاجة هذا بخلاف ما يسرقنه من ثياب الزوج وما يزدنه على المصاريف المنزلية اليومية فيالله

مالذي تنتظرون من المرأة التي تعيش مع رجل كارهة أو غير آمنة على مستقبلها أن تفعل غير كل ما هو سافل ومنحط ؟ أنا لا أقول أمنعوا الطلاق . لا ، بالعكس أنا أطلب به ولكني أريد فقط أن تفهموا الرجل أن المرأة هي شيء أكثر من (ميوله) عساه يعاملها معاملة حسنة فتثق به وتعمل كل ما يحبه فيها أما إذا حدث داع للفراق فهو خير ملجأ . إن من أضر ارتعد الزوجات أن تتهاك كل واحدة منهن في استبراز أقصى ما يملك الرجل من القوة الحيوية في حلة وجوده معها حتى تكيد لضرتهن وبالطبع تفعل الثانية ما فعلته الأولى وهكذا الثالثة والرابعة وغيرهن من الخطايا والسبايا الخ وينوء الرجل تحت حمل هذه السخرة فينهك كيانه ويدرع إلى القبر . اليس لأجل أن تنال المرأة حظوة كهذه في نيني الرجل تعتمد الدلال وغيره مما تهيج معه غريزة هذا الحيوان الجنسية ؟ فإذا كانت هذه هي حالته كل يوم فكيف تنتظر منه أن يكتب على أعماله في النهار ؟ وأما المرأة فمدتها معه تقضيها كلها في المرأة وأما فإذا غاب عنها فالغيرة من ضرائرها تفنك باحثائها فلا يعمل فكرها حينئذ إلا في نصب الأشرار والعمل بالنكايه للضرر الذي يربح حساب

كذلك تجد من نتائج الحجاب عقد الزواج الشاذ . فبالله ماذا يكون رأى الرجل والمرأة اللذان يتقابلان لأول مرة لالتعارف بل لتضاء شهوة بهيمية ليستعد كل منهما لتذوقها قبل الاجتماع بعدة أسابيع ؟ فإذا ما زلت شهوة بدأ كل منهما يفحص رفيقه كما يفعل المتبارزان قبل الاصطدام . فيجريان المناورات لمعرفة ما إذا كان مناظره (عبيطاً) أو (لثماً) ومن الغريب أن كلا منهما يتظاهر بالعناء وعينه تراقب الآخر مراقبة النسر لفريسته . فتزداد الظنون ويدور الدس وتلاعب المراوغة دورها فينفجر كل منهما على الآخر . ولا غرابه فهذه هي آخره اللقاء الشهواني . وهل ينتظر من الرجل أن يحترم امرأة كانت ضحية شهوته في أول دقيقة رآها فيها وبالله كيف يأمن إليها بل كيف تكون عقليتها بعد أن

يثوب اليهم ارشادها فتجد امامها الرجل لا أكثر من آلة تدبب الشهوة ؟ فإذا ما انتهت
حديثها لا تجد صلة تجمعها بتلك الآلة حتى تغلبها الشهوة مرة أخرى

هنا يجب أن نتحول الى التمهك لنفرق بينه وبين السفور . قلتمتكم نأج
عن حاجة المرأة الى الرجل . فاما الحاجة الشهوانية ، فليس من المسلم عقلا ان المرأة
تجري وراء الرجل من أجل الشهوة كل دقيقة من حياتها ، بل قد تفعل ذلك
كل بضعة ايام مرة واحدة . هذا على الاكثر . المرأة تجري اكثر وقتها خلف
الرجل كي تغريه بذاتها ليمتلكها ويغني آخر ليطعمها ويكسيها . فهي بفضل جهلها لا تعرف
لها صناعة الا التمسح بالرجل كي تأكل من فضلاته . وهو بدوره لا يريد لها الا لشباع
شهوته لا أكثر لان خدمته يمكن أن يقوم بها خادم أو يقوم بها بنفسه فالمرأة
تعرض ذاتها في السوق سلعة — أجل ياسادتي الجامدين لا أكثر من سلعة —
لتجذب نظر الرجل فإذا كان الرجل على العواطف ما كانت المرأة تسعى اليه
عن طريق الخلاعة بل كانت تشفق ذاتها كما يفعل النساء الاوروبيات المستقلات
اقتصاديا اللاتي اذا اتصلن بالرجل بأي صلة كانت سواء بالزواج الديني أو بالزواج
المدني أو بالمرافقة وكلها في نظرهم صلة روحية — قائما يكون ذلك عن طريق
العواطف وعن طريق التفاهم المتبادل . وأما نحن فتقتنصنا النساء بالتبذل وذلك
لأننا نجهل كل خصال المرأة اللهم الا أنها أداة للذة البهيمية الامر الذي نتج عن
الحجاب وعن نشوئنا في وسط لا يسمع فيه الواحد منا ذكر المرأة الا مصحوبا
بكل ما هو منحط وسافل .

واني لا أكون قد حقرت نفسي لو بسطت ما اختبرته شخصيا في حياتي .
فقد وقع لي حادث مع سيدة وكان أكبر درس تلقينته الى اليوم . حدث أنني
دعيت مرة الى بيت أحد أساتذتي وكانت الاولى من نوعها . فدخلت القاعة
المعدة لاستقبال أنا وغيري من الطلبة أجر رجلى جراً . كيف لا وأنا على وشك
مقابلة سيدات غريبات عنى لأول مرة في حياتي . وكنت في التاسعة عشرة من

عمرى ولا أذكر الآن كيف حييت رب الدار وربته ولا ما إذا كنت قد حييت ابنتهما أيضاً وهذا لا دخل له فى القصة التى تبدأ عندها انتحييت كرسياً فى زاوية مظلمة من القاعة وقد تصيب منى العرق فكنت أمسحه وأنا مضطرب الحواس وكان يزيد اضطرابى كلما مرت من أمامى سيدة حسب عادتهن ابتادلتنى بضم كلمات وهى تبسم . اعتقدت أولاً أنهن يضحكن على ولـكن عزة نفسى أقنعتنى بعد قليل بأنهن قد افترتن بى . ويظهر أن آنسة الدار وجدتني وحيدى فجلست بقربى وأخذت تحدثنى ولست أعرف تماماً السبب الذى دعاها لاطالة الحديث معى هل هو رغبةا فى مسابرتى وتشجيعى على أن آلف هذه المعيشة المختلطة ، ام لأنها رادت أن تكلمنى كامتين كما هى العادة ثم تركنى لغيرى فلاحظت احمرار اذنى واصفرار وجهى وارتماش يدي فعزمت وهى اصفر منى سنا بثلاث سنين أن تضحك منى وتخرجنى .

فلمّا تكلمنا اخذت نفسى وترتد الى رويداً رويداً الى ان ساقنا الحديث الى ذكر مصر ومنزلنا والوالدى وثروته وعمله فالتحدث افكارى تتجه بسرعة نحو حرمى بعيد . واسوء الحظ انها سألتنى هل اذا زارت مصر اقدمها لوالدى وهل نزهها فى كل جهة . فاول ما تبادر الى ذهنى انها قد (وقعت) وهامت بى صباغة كيف لا وهامى تلمح وأنها . . . وأنها . . . فما كان منى إلا ان وضعت كفى على ساقها لاظهر مشاركتى لها فى الغرام . فهبت واقفه يكاد الشرر يتطاير من عينيها ثم أحنّت الى رأسها وذهبت . ورغما عن أنها قابلتني مراراً كثيرة خلال ثمانى سنوات ، كانت تأنف دائماً من التسليم على فكانت تتجاهلنى تماماً

هذه كانت عقليتى . فالتذبذب هذه العقلية التى ترجمت الفاظ الابنة الطاهرة الى اللغة العربية فتفهمها عقلى المحجب كما تعودت فى وسطى الذى لا يفرق بين المرأة واللذة حتى يشاء الله أن تلبس الحجاب

الالحاد

أمعرفه هو ام اعتقاد ؟

رداً على ملاحظات ط . ه . حنين انندى اقول .

المعرفة والمعتقد امران مختلفان في التكوين والمصدر كل الاختلاف وانا كان لكل منها فروع تختلف في الاسم والمظهر فان المبتدىء بالبحث عن وحدة هذه الفروع يرى صعوبة ما في تعيين الاصل ومن ثم في الجهة التي تتجه اليها فلهذا أعرف اولا المعرفة والمعتقد كاصلين نبت عليهما فروع شتى هي هذه العوامل المسيطرة على كيان الجماعات والافراد والدافعة الى ناحية معينة من القول والعمل

قال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه — الآراء والمعتقدات — الصفحة الاولى « يخلطون المعتقد احيانا بالمعرفة على ما بينهما من اختلاف كبير فالعلم والاعتقاد أمران مختلفان في تكوينهما ومصدرهما وبالرأى والمعتقد يتم سيرنا وعندهما تنشأ أكثر حوادث التاريخ » وهذا القول يكفي لتبيين نسبة الاختلاف بين المعرفة والمعتقد على أن هذا الاختلاف يشل ايضاً ما تفرع منهما

المعتقد وليد العاطفة الهوجاء والمعرفة وليدة الفكر الباحث المدقق فاذا اردنا أن نجعل الناس ذوي معرفة يجب أن نوجد عندهم الفكر ومن ثم الوقت الكافي للبحث والتدقيق ولكن لو شئنا أن نصيرهم ذوي اعتقاد لما اقتضى علينا سوى التأثير على عاطفتهم بالتلقين والتكرار . فالاختلاف بين أصل المعرفة وأصل المعتقد كبير ويكفي أن تلك وليدة الفكر العصري وهذا يرجع الى العاطفة تلك التي قادت الانسان ملايين من السنين في ظلمة الطبيعة ووحشتها . فالالحاد من فصيلة المعتقد دوام من فصيلة المعرفة . لوقات إنه يرجع الى المعرفة لكذبتني وقائع الحال لأنه — رأى — والآراء تنظم تحت لواء

العاطفة تلك المعروفة في هدفها ومرماها وكيف تجعل منه معرفة !! -
 أنخلق له مركزاً بين فروع العلوم العديدة وندرسه كما ندرس العلوم الطبيعية
 والرياضية ?? - يقول حنين افندى ان الاتحاد صفة انتقاد لما نراه في هذه
 الثارات الخمس من الاديان الخرافية السخيفة . نعم وأنا لا أخالفه في ان
للإتحاد صفة انتقاد للاديان الشائنة ولكن هل هذا كل شيء ?? - انت
 ملحد - ولا تعتقد بصوابية هذه الاديان - حسن - ولكنك تعتقد ان
 هذه الاديان ليست صحيحة واعتقادك هذا له نفس السنن والنواميس التي
 لهذه الاديان - والا فكيف تفسر انتقادك هذه الاديان المبني على رأيك
 الذي تدعيه صواباً ??

يذكر حنين افندى قصة تيس (ولا أعرف لماذا اختار هذا التشبيه
 الغليظ) ويقول انه لو صدقت الناس ان تيساً صار على قرنيه وكذب انسان
 ذو عقل صحيح هذا الامر أفمن الحق ان نمنع هذا الانسان عن ابداء رأيه
 بمسحة ما يعتقد ?? -

انا ما قلت ولا أقول ولن أقول بمنع انسان عن الجهر بالحقيقة
 خصوصاً فيما يتعلق بالاديان وميثولوجيتها ولكن قلت وأقول وسأقول ان
 الاتحاد رأى ومعتقد وهو من فصيلة تلك الاعتقادات المبنية على العاطفة
 الفطرية وان الناس لو الحدوا لما تغير مظهرهم الاجتماعي ولا مقامهم في
 الطبيعة وهماهي الاديان السائدة لم تبدل وضعية العالم عند ما تم لها الفوز على
 ما سبقها مع اعتبارنا ضرورات الرقي التدرجي لان الانسان ما زال كما كان
 يسير مدفوعاً بعاطفته لا بعقله .

ثم والمسألة ليست مسألة تيس وسيره على قرنيه بل اعمق وأعمق واعلم
 حتى أن أعظم رجال العلم والفلسفة وقفوا أمامها وقفة المتردد والمشكل
 مثل باسكال وكانت وشوبنهاور ومالبرانش وكروكس وبومباناى وولس
 وغيرهم فان مباحثهم في صحة الاديان وكذبها لم تزل مثالا بارزا على عمق
 الموضوع وبعده عن مستوى العقل البشري الاعتيادي المتطلب الايمان
 بوجود مبدع مستقل لهذه الكائنات العجيبة فلو قلنا واخذت الناس قولنا

حجة لا ترد بان الاتحاد أحسن الآراء الاجتماعية . فهاذا كنا نرى ؟؟ . كنه .
نرى ان المستوى البشري ما زال عند حده ينمو رويدا رويدا وان الاتحاد
حل محل الاديان البائدة وأخذ ما كان لها من العوامل والمسببات ولم
يختلف عنها الا بالاسم فقط . ومن اطلع على مباحث الدكتور غوستاف
لوبون في هذا الباب يتأكد صحة قولي هذا .

لا أقصد بهذا رد الملحدين عن التبشير بالحادهم كما يبشر المسيحيون
والمسلمون والبوذيون باديانهم بل اظهار حقيقة الاتحاد الذي لن يبطل
الحروب ولن يكفي الانسان مؤونة التساؤل عن اوجد هذه الطبيعة . وليثق
حين أفندي ان من التعاسة الدائمة الاطلاع على خفايا هذا الكون لان الوهم
الذي يقود الانسان في ايمانه بالله وكفره به او الحادء مخدر يمنعه من ايمان
التمكرة في مظالم الحياة وشروورها كما وليتأكد ان تبشير برأيه لن يرقى فكر
الانسان اذا بقيت الموانع الاجتماعية متحكمة في منحي الافراد ومصيرهم
لان الامر يرجع الى طبيعة النظم السائدة ليس الا - فأنا أعرف منشأ
الكون وتفرعه والمعرفة لا تولد الرأي او المعتقد ولهذا فان - الحادي -
او - اعتقادي - قد اضمحل برسوب عاطفتي النظرية وظهور فكري الى
ساحة القول والعمل

ابراهيم حداد

بيروت ١٣ أغسطس سنة ١٩٢٨